السلسلـة المرينيـة
1

محمد المنوني

التيـــارات الفكريـــة
في المغـرب المرينـــي

فصلة من مجلـــة:
(الثقافة المغربية)
الـعـــدد 5

1971

السلسلة المرينية
1

محمد المنوني

التيـــارات الفكريـــة في المغـــرب المرينـــي

فصلة من مجلـــة:
(الثقافة المغربية)
الـعـــدد 5

1971

مطبعة محمد الخامس
الثقافية والجامعية

فاس (المغرب)
1094 — 1000

ذو الحجة 1391 الموافق فبراير 1972

التيارات الفكرية في المغرب المريني

بقلم : محمد المنوني

كانت المذاهب الغالبة على المغرب في الفترة المرينية هي :

ـ المذهب الاشعري في المعتقدات .

ـ المذهب المالكي في الفقهيات .

ـ الصوفية السنية حسب طريقتي ابى مدين ثم ابى الحسن الشاذلي .

وفي مقابلة هذه ظهرت ـ ولو في نطاق محدود ـ افكار مضادة انبثق عنها شبه جمعيات يطبع بعضها تطرف واضح

ومن جهة اخرى قام ـ في نفس الفترة ـ حركات اصطبغت بأغراض متنوعة : من الرد على اليهودية والمسيحية ، الى مقاومة البدع ومعارضة الانحراف الحكومي ، الى اقامة السنة وتغيير المنكر ، الى الدعوة لمقاومة المد المسيحي بالاندلس والمغرب ، الى ظهور افكار جديدة في الاجتماع والتعليم .

وهكذا وجد في هذا العصر ـ ولو الى حد ـ تيارات فكرية متنوعة ومتباينة احيانا ، ووظيفة هذا البحث شرح مظاهر هذه التيارات حسب العناوين التالية :

افكار جديدة في الاجتماع والتعليم ـ الرد على اليهودية والمسيحية ـ مناظرات ومراجعات ـ مقاومة البدع ـ مجتهدون وظاهرية ـ جماعات واتجاهات صوفية ـ جماعات السنة ـ جماعات للدفاع عن الاندلس والمغرب ـ جماعات متطرفة .

1 ـ افكار جديدة في الاجتماع والتعليم

من المؤكد ان المدة الطويلة التي قضاها ابن خلدون (1) بالمغرب ، كان لها اثر في اثارة مسائل اجتماعية بين عدد من المغاربة ، وهو نفسه يسجل في « المقدمة » (2) : ـ في صدد حديثه عن الرحالة المغربي ابن بطوطة ـ ظاهرة اجتماعية لفتت نظره لها فارس بن وردار وزير السلطان ابي عنان المريني .

ومن المغاربة الذين تأثروا بافكار المقدمة ، يوجد ابن السكاك : محمد بن ابي غالب بن احمد المكناسي القبيل ـ ثم العياضي ، ابو يحيى الفاسي ، المتوفي عام 818 هـ/1415 ـ 1416 م ، وقد كان له اتصال بابن خلدون (3) ، ثم ظهر تأثره « بالمقدمة » في ثلاثة من مؤلفاته .

الاولى : كتاب « نصح ملوك الاسلام » (4) ، الذي نثر فيه الفقرة التالية (5) :

« ... غير ان العقلاء واهل التجربة الصحيحة والفراسة الصادقة ، قالوا : ان الدول اذا تهممت بالطرف والذخائر ، وقصرت هممها على الحلي والحلل ، وثياب الديباج المذهبة ، وستور الحرير ، والفرش الهائلة ، والمباني المشيدة، دل ذلك على تحلل تركيبها ، واضمحلال ضخامتها ، وفناء رونقها وحسنها ، ونقصان كمالها ، وآل امرها للدثور والدمار ، واذا صحب دولة الاقتصاد في الانفاق ، والتقلل من المؤن ، والعدل في الرعية ، واختيار الجند وانتقاؤهم ، والاستغناء فيهم بقليل نفاع ، عن كثير عظيم المؤونة ، قليل المنفعة ، ورأس الامر حسن العقد مع الله تعالى ، وصفاء السريرة وخلوص النية والقصد ،

ومراعاة وجه الكريم في احياء سنن حبيبة واماتة البدع ، كان لها من الظهور والشماخة وبعد الصيت ما لا يفي بوصفه الدواوين ، واعتبر ذلك بأوائل ملوك لمتون والموحدين ، كانوا على سبيل من الاقتصاد غريب ، فتوفرت الجباية ، ودخلت الاقطار في ملكهم ، فجاهدوا ، وخلدوا المآثر والمفاخر ، بخلاف اواخرهم : اشتغلوا باقتناء الذخائر ، واهملوا ما تقدم ، حتى قيض لهم من أزالها من بين ايديهم ، فليعتبر العاقل في ذلك ؛ وليستبصر في المباديء والخواتم ، فخذ تجربة صحيحة فيما ذكرناه لا تكاد ان تتخلف ، ومن كان طلعة لكتب التواريخ وجد مصداق ما ذكرناه في طيها » .

هذه فقرة ابن السكاك ، وقد تأثر في القسم الاول منها بالمقدمة ، حسب الفصل الذي يقرر : « انه اذا استحكمت طبيعة الملك في الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة : اقبلت الدولة على الهرم (6) » ، كما تأثر ـ بصفة عامة ـ بأسلوب ابن خلدون ومنهجه في تقرير هذا الموضوع الذي تناوله .

الثاني : « كتاب الاساليب (7) » ، حيث ورد فيه اثناء الاسلوب الثالث قول ابن السكاك (8) :

« . ان سنة الله جرت باحتياج هذا الادمي الى ضروريات لا يقوم وجوده الا بها ، وناط بها مؤلمات ، وافتقره الى اسباب ، اقتضت حكمته خلق السلامة من تلك الآلام عند تلك الاسباب لابها ... » .

ومن الواضح ان هذه الفقرة ملخصة عن المقدمة ، عند الفصل الاول من الكتاب الاول : المقدمة الاولى (9) ، ونفس هذا الاقتباس وقع ـ مرة اخرى ـ لابن السكاك ، في خطبة مؤلفه الآخر الذي يحمل عنوان : « استخراج كنز الملوك والوزراء والحجاب ، بالتعريف بأذكار يتوصل بها ـ الى فوز الدارين ـ أرباب الالباب (10) » ، وقد قال في طالعته :

« وبعد : فلما كان الانسان في هذه الدار الدنيوية في غاية الاضطرار الى

ضروريات لا يتم وجوده الا بهـا ، وفي نهاية الاحتياج الى استدفاع اضداد وأغيار لا يستمر كونه الا بفقدهـا ... » .

وهكذا يتكرر تأثر هذه الموضوعات الثلاثة بالمقدمة الخلدونية في فقرات تأتي عفوا وعرضا اثناء موضوعات لا مسيس لها بعلم الاجتماع ، ومن هنا يتبين ان ابن السكاك كان يخالط هذا العلم ، وانه لو تصدى للكتابة فيه لاخرج كتابـا اجتماعيـا مشـرفا .

وسوى ابن السكاك يوجد عالم مغربي آخر ، اطلع على المقدمة ، ونقـد بعض افكارها ، والمعني هنا هو ابو يوسف يعقوب بن موسى السيتاني الذي كان يعيش في النصف الاول من القرن التاسع (II) هـ ، فقد انتقد هذا في اوائل شرحه على القصيدة التلمسانية (I2) ، تفسير ابن خلدون للفرائض الواردة في الحديث الشريف : ان الفرائض ثلث العلم او نصفه ، حيث ان الكافة فسروها بعـلم الفرائض ، بينما تفسرها المقدمة بالفرائض التكليفية (I3) ، ولكـــن السيتاني يصحح تفسير الكافة ويلغي تفسير ابن خلدون الذي ابهم اسمه وعبر عــنه ببعض المتـأخرين .

*
* *

وقد اثير في هذه الفترة عدة افكار تتصل بالتعليم ، اثارها غير واحد من الاعلام الذين كانوا ينزلون المغرب ، فكان الابلي : محمد بن ابراهيم العبدري التلمساني نزيل فاس ودفينها (I4) ، ينتقد كثرة التأليف وبنيان المدارس ، ويشرح هذا تلميذه المقري : محمد بن محمد ابن احمد القرشي التلمسانـــي قاضي الجماعة بفاس (I5) ، ويقول : « سمعت الشيخ الابلي يقول : انما أفسد العلم كثرة التواليف ، وانما اذهبه بنيان المدارس ، وكان ينتصف من المؤلفين والبانين ، وانه لكما قال ، بيد ان في شرح ذلك طولا ، وذلك ان التأليف نسخ

الرحلة التي هي اصل جمع العلم ، فكان الرجل ينفق فيها المال الكثير ، وقد لا يحصل له من العلم الا النزر اليسير ، لان عنايته على قدر مشقته في طلبه ، ثم يشتري اكبر ديوان بأبخس الاثمان ، فلا يتنع منه اكثر من موقع ما عوض عنه ، فلم يزل الامر كذلك حتى نسي الاول بالآخر ، وأفضى الامر الى ما يسخر منه الساخر .

واما البناء فانه يجذب الطلبة الى ما يترتب فيه من الجرايات ، فيقبل بهم على من يعينه اهل الرياسة للاجراء والاقراء : منهم او من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم ، ويصرفهم عن اهل العلم حقيقة ، الذين لا يدعون الى ذلك، وان دعوا لم يجيبوا ، وان اجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم (I6) ، ويذيل المقرى هذا الشرح بافكاره الشخصية حول مسائل تعليمية اخرى ويقول :

« ولقد استباح الناس النقل من المختصرات الغريبة اربابها ، ونسبوا ظواهر ما فيها الى امهاتها ، وقد نبه عبد الحق في تعقيب التهذيب على ما يمنع من ذلك لو كان من يسمع ، وذيلت كتابه بمثل عدد مسائله اجمع ، ثم تركوا الرواية فكثر التصحيف ، وانقطعت سلسلة الاتصال ، فصارت الفتاوي تنقل من كتب لا يدري ما زيد فيها مما نقص منها ، لعدم تصحيحها ، وقلة الكشف عنها ... ثم انضاف الى ذلك عدم الاعتبار بالناقلين ، فصار يؤخذ من كتب المسخوطين ، كما يوخذ من كتب المرضيين ، بل لا تكاد تجد من يفرق بين الفريقين ... ثم كل اهل هذه المائة عن حال من قبلهم : من حفظ المختصرات وشق الشروح والاصول الكبار ، فاقتصروا على حفظ ما قل لفظه، ونزر حظه، وافنوا اعمارهم في حل لغوزه، وفهم رموزه، ولم يطلؤا الى رد ما فيه الى اصوله بالتصحيح ، فضلا عن معرفة الضعيف من ذلك والصحيح ، بل هو حل مقفل ، وفهم امر مجمل ، ومطالعة تقييدات زعموا انها تستنهض النفوس ، فبينما نحن نستكثر العدول عن كتب الايمة الى كتب الشيوخ ، اتيحت لنا تقييدات الجهلة ، بل مسودات المسوخ (I7) ... » .

وبعد المقرى والابلي ، يأتي ابن خلدون ، ويتناول اكثر الموضوعات السابقة ، ويعرضها في « المقدمة » حسب هذه الفصول :

- فصل في ان كثرة التآليف في العلوم عائقة عن التحصيل (18) .
- فصل في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم (19).
- فصل في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم (20) .

ومما ينتقده ابن خلدون (21) على المغاربة ، ضعف تدربهم على المحاورة والمناظرة عند التدريس والمذاكرات ، ويبدو ان السلطان المريني ابا عنان : حاول ان يتلافى هذه الظاهرة ، يدل لهذا قصته مع فقيه فاس علي الصرصرى، وقد ساقها في ازهار الرياض (22) هكذا :

« ولما كمل غرض ابي عنان كبير ملوك بني مرين ، من بناء مدرسته المتوكلية بفاس ، وكان بعيد الصيت في علو الهمة ، قال : انظروا من يقرىء بها الفقه ، فوقع الاختيار على الشيخ الصرصرى (23) الحافظ ، ولما جلس بها واتسع صيته ، وجه اليه ابو عنان من يسأله في مسائل التهذيب التي انفرد باتقانها وحفظها ، وطالبه بتحقيق ذلك واتقانه وحسن تلقيه ، ولا ادري المنتخب له ، هل هو ابو عيسى موسى ابن الامام (24) ، ام السيد الشريف ابو عبد الله (25) شارح الجمل ، او هما معا . فطالباه بتحقيق ما اورده من المسائل عن ظهر قلب على المشهور من حفظه ، فانقطع انقطاعا فاحشا ، ولما اضجره ذلك نزل عن كرسيه وانصرف كئيبا في غاية القبض ، ولما اشتهر ذلك عنه وجه اليه ابو عنان ، فلما مثل بين يديه آنسه وسكنه ، ثم قال له : «انا امرت بذلك ، كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس ، وتعلم ان دار الغرب هي كعبة كل قاصد ، فلا يجب ان تتكل على حفظك وتقتصر على ما حصل عندك، ولا يمنعك ما انت فيه من التصدي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتنزل للاخذ عنهم ، ولا يقدح ذلك في رتبتك عندنا ان شاء الله » .

هذه هي القصة ، وفيها نرى ابا عنان يهتم بتوجيه عالمين لمناظرة الفقيه الصرصري ، ثم يستدعيه بعد ذلك ، ويشير عليه بملاقاة من يرد على فاس من الاعلام والاخذ عنهم ، وما ذلك الا ليكتسب هذا ملكة في المناظرة التي تنقص طبقته ، وهكذا يلاحظ ان ابا عنان قد شعر بضعف الدروس المغربية في هذه النقطة ، واخذ في محاولة تلافي هذا النقص ، الذي انتقده ــ ايضا ــ ابو العباس النباب آتي الذكر ، حيث اعترف بتقدم المغاربة في الحفظ وتفوق التونسيين والمشارقة عليهــم في ملكة التحصيل (25 مكرر) .

وأخيرا : لا غنى لنا في هذا المقام عن ان نستثني المناظرات الكتابية ، حــيث كان للمغاربة مساهمة فيها ، كما سنرى هذا بعد .

*

*   *

ومن المسائل التعليمية التي كانت موضوع مناقشة في هذه الفتــرة : دراسة مختصرات المتأخرين ، وقد سبقت الاشارة لنقدها من طرف بعض العلماء الذين نزلوا المغرب ، وهما المقري ثم ابن خلدون ، ونذكر هنا المغاربة انفسهم ، الذين كان لهم موقف متعارض في هذا الصدد ، فبينما اقبل عدد من العلماء على دراسة بعض المختصرات في اواخر هذا العصر بالخصوص، كان في مقابلتهم فريق ثان يعارض ــ بشدة ــ استعمال هذه الكتب ، ويوجد من بين هؤلاء القباب : احــمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامــي ، الفــاسي (26) : المتوفى عام 778 هـ/1377 م فقد كان يقول : ان ابن بشيــر وابن الحاجب وابن شاس افسدوا الفقه ، وكان يقول ــ ايضا ــ شأني ان لا اعــتمد على هذه التقييدات المتأخرة البتة ، تارة للجهل بمؤلفيها ، وتــارة لتأخر زمان أهلها جدا ، او للامرين معا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيه، وانما المعتمد عندي كتب الاقدمين المشاهير .

وقد اشار ابو اسحاق الشاطبي (27) لمذهب القباب هذا وقال : ــ في

مراجعة مع بعض اصحابه ـ واما ما ذكرت لكم من عدم اعتمادي على التآليف المتأخرة ، فلم يكن ذلك مني ـ بحمد الله ـ محض رأيي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع كتب المتأخرين ، واعني بالمتأخرين : كابن بشير وابن شاس وابن الحاجب ومن بعدهم ، ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه اوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ، ولكنها محض النصيحة :

هذا كلام الشاطبي الذي يقصد ببعض من لقيه الامام القباب ، وبالعبارة الخشنة قولته الآنفة الذكر (28) .

وعلى ذكر ابن شاس نسجل ان الفقيه الكبير محمد بن سليمان السطي الفاسي المتوفي عام 750هـ/1349 ــ 1350 م : وضع تعليقا على ابن شاس لبيان ما خالف فيه المذهب المالكي (29) .

وبعد هذا فان موقف بعض المغاربة ضد هذه الكتب المتأخرة وصل حتى البلاد الشرقية ، فهناك عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن السجلماسي المعروف بابن الحفيد ، نزل جهات عديدة بالشرق العربي ، آخرها القاهرة، وتوفي عام 789هـ/1387ـ1388 م ، وقد قال عنه ابن حجر (30) ، كان يزعم ان ابن الحاجب لا يعرف مذهب مالك ، فأما من تأخر من اهل العلم فانه كان لا يعرف لهم رأسا ، الا ابن عبد السلام وابن دقيق العيد ، وهناك مغاربة مصامدة كانوا مرتبين في « المدرسة الشيخونية » بالقاهرة ، وكان شيخ هذه المدرسة هو بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري ، وقد طلب هذا من المغاربة ان يصحح شرحه الصغير على المختصر الخليلي بين يديه على عادة المشايخ ، فابوا عليه وقالوا : لا نقرأ كتبك ولا كتب شيخك ولا كتب ابن عرفة بين ايدينا ، ولا نسمع الا كتاب ابن عبد السلام فما فوقه (31) .

هكذا كان موقف بعض المغاربة من دراسة المختصرات ، ثم تطورت

الحالة بعد هذا ، حتى آل الامر ـ اخيرا ـ الى ان طغت المختصرات على كثير من المواد الدراسية .

2 ـ الرد على اليهودية والمسيحيـة

كان من مظاهر التفكير الديني في هذه الفترة وجود حركة للرد عـلى اليهودية والمسيحية .

وفي صدد اليهودية هناك كاتب من سبتة انتقل للاسلام وتسمى بعبـد الحق الاسلامي ، ثم وضع رسالة تحمل اسم السيف الممدود في الرد على احبار اليهود » ، وحسب بعض نسخها المخطوطة فقد كتبها باشارة من ابي زيد عبد الرحمن بن الحاجب المريني ابي العباس احمد القبائلي المتوفى هو ووالده ـ ذ بيحين ـ يوم الخميس 30 شوال عام 882 هـ (32)/1400 م ، وقد طرز باسم هذا خطبة الكتاب وخاتمته التي ذكر فيها ـ ايضا ـ اسم السلطان المريني عبد العزيز (33) الثاني ، وهو يذكر في افتتاحية الرسالة السبـب الحامل على وضعها ، ويشرح منهجه في تأليفها وأقسامها ويقول :

ولما من الله ـ جل جلاله وتقدست اسماؤه ـ بما من عـلي ، واحسن باحسانه الي ، أشار على السيد الماجد الفقيه .. ابو زيد عبد الرحمن بـن السيد الفقيه ... حاجب الخلافة العلية ، السنية العزيزية (34) ، المعظم ... ابي العباس القبائلي .. ان أؤلف جزءا من بيان ما هم عليه اليهود ـ لعنهـم الله ـ من الضلالة والكفر الشنيع والشرك بالله تعالى ، وما هم يعتقـدونه من الباطل المحض في انكار نبوة المصطفى ، ليكون ـ ان شاء الله تعالى ـ ماحيا لاعتقادهم ، ومذهبا لاثارهم ، فاستعنت بالله ـ الذي لا الاه غيره ـ على تأليف ما اشار به هذا السيد الفاضل ... مستدلا عليهم بالادلة الساطعة، والبراهين القاطعة ، مما يدل على فساد عقلهم ، ويوذن بجرمهم وعدم ادبهم، واقتصرت على ما في كتبهم مما لا يسعهم انكاره بوجه ولا بحال ، ليكـــون

انكى لهم ، وابلغ في الحجة ، واجدى في الاستدلالات ، وجعلت ما هــو في التوراة ــ بزعمهم ــ او في غيرها من تواليفهم من النصوص العبرانية مكتوبا بالاحمر ، وتفسيرها ــ بالعربي ــ بالمداد الاكحل على حسب تفسير قدمائهم وشرائع علمائهم ... وبنيت على الايجاز والاختصار ، دون بسط ولا اكثار...

ثم يقول عن ابواب الكتاب : اعلم ان الكلام ينحصر في هذا المطلب في خمسة ابواب : الباب الاول : في تقرير المواضع التي في كتبهم ناصة عــلى صحة نبوة سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانه مرسل لكافة الخلق، الباب الثاني : في نسخ شريعته لجميع الشرائع ، الباب الثالث : في وقوعهم في الانبياء عليهم السلام ، الباب الرابع : فيما في توراتهم من الشرك والتجسيم والتغيير والتبديل ... الباب الخامس : فيما في كتبهم من تعظيم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وما فيها من معجزاته وصفته وآياتــه .

فرغ من تآليفه في العشر الآخر من ذي القعدة ، عام 796 هـ /1394 م حــسب نسخة المخطوطة الآنفة الذكر ، وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع يحمل رقم 3395 د ، من ص 360 الى ص 381 ، مسطرة 22 ، مقياس 150/200 ، خط مغربي لا بأس به ملون خال من اسم الناسخ ، ووقع الفــراغ من انتساخه عشية الاثنين اواسط ربيع الثاني ، عام 1075 هـ .

طبع على الحجر بفاس طبعة متأخرة خالية من التاريخ ، في 24 ص ، حجم متوسط ، ويلاحظ ان النص المطبوع يختلف ــ يسيرا ــ عن المخطوط ، حيث لم يرد في اوائله ولا اواخره ذكر القبائلي ، كما لم يذكر السلطان المريني، وانما جاء في اوله انه وضعه باشارة من بعض طلبة سبتة ، مما يدل على ان الرغبة في تأليفه جاءت من اكثر من جهة ، وقد ورد اسم الرسالة في النص المطبوع هكذا : « الحسام الممدود ، في الرد على اليهود » .

والى جانب الحسام الممدود ، نجد مؤلفا اندلسيا مجهول الاسم الكامل، وانما يتسمى محمدا وينتسب للانصار ، حسب الباب الاول من الرسالة التالية وقد وضع رسالة سماها : « رسالة السائل والمجيب ، وروضة نزهة الاديب » من 35 بابا ، ثم خصص الباب الاخير الذي هو الخامس والثلاثون ، لـذكـر مجادلاته الدينية مع مسيحيي قشتالة ، وهو يذكر ان هذا الموضوع كان هو الحافز له على كتابة «رسالة السائل والمجيب» التي الفها برسم الوزير المريني: الحاجب ابي زكرياء يحيى بن زيان ، والظاهر انه يقصد به ابا زكرياء يحيى بن عـمر بن زيان الوطاسي ، وزير السلطان عبد الحق المريني ، وقد كـانت وفاة هذا الوزير عام 852هـ/1448-1449م(35)، وكان هذا يعرف بيحيى بن زيان نسبة الى جده ، وبهذا الاسم ورد في الاستقصا (36) ، وهكذا يتبين ان هـذا المؤلف نزل المغرب . وهو يتحدث في الباب 35 عن ست مجالس عقدهـا لمحاورة المسيحيين القشتاليين باسبانية ، ويقدم الحديث عن هذه المجالس هكـذا :

« يقول المؤلف ـ لطف الله به ـ انما دعاني لتأليف هذه الرسالة ما يأتي من الفصول الجدلية ـ ان شاء الله تعالى ـ وذلك : انـي لما رميـت بسهم الاضطرار ، عن قوس الاقدار ، الى بلاد النصارى ـ ابادهم الله ـ وطـال المقام بين اظهرهم ، اطلعت على عنادهم ، وفهمت لغتهم وكتابتهم ، واجتهدت في البحث عن اصول ديانتهم ، والقواعد التي هي اسس شريعتهم ، رايت من ركاكة نصوصهم ، وتضاد منصوصهم ، ما تمجه العقول ، والمعقول ، فلما رأت اساقفتهم : اني قد رايت احكامهم ، وفهمت اقلامهم ، حشروا الي خفافا وثقـالا ، وسارعوا الى مناظرتي ركبانا ورجالا ، فدارت بيني وبينهم مجادلات ومحاورات ، في مجالس عدة ، جلها بقصر ملكهـم ، وهو الفنش المعروف بابن الاصفر ، ومنها بمنزلي ، ومنها بدار رئيس كتبة الملك وصاحب سره ، وهو اعلم من بوطنه ، وكان هذا اللعين يهوديا فتنصر وبلغ من الملك مبلغـا عـظيما ، حتى استبد بتدبير ملكـه .

وها انا ذاكر – ان شاء الله – بعضا من تلك المجالس على جهة الاختصار والتقريب ، لان ذكرها – بأسرها – يستدعي طولا ، والقصد بذكر ما اذكر : اعلام من لم يمتحن من المسلمين بأباطيلهم وتساويلهم ، فانه ان اضطر احد الى مناظرتهم يوما وهو غير عارف ، بأصولهم ، ربما افحموه وألبسوا له الحق بالباطل ، فان من شأنهم مكابرة العقول ، وخلط المنقول بالمعقول .

ولتعلم – عافاك الله – ان ما في الملل ، ولا في جميع الاراء والنحل ، اسخف عقولا ولا اجهل من الروم ، ولا ينبغي لمن اضطر الى مباحثتهم يوما ان يناظرهم الا بنصوص انجيلهم ، وما بين ايديهم من صحف الانبياء ، لانهم لا يقبلون غير ذلك ، ولا يحتاج الماهر فيما ذكر اكثر من تكذيبهم والرد عليهم ، ويصون دينه ونبيه ، لانهم – ابادهم الله – مهما ذكرت لهم النبي صلى الله عليه وسلم نفروا وزادوا طغيانا ومعاندة ، وسددوا ضروبا من الاهاويس والفرية ، لا يقولها الا امثالهم من متنقصي الانبياء عليهم السلام ، اذ لا ينكر عليهم ولا على اليهود ذلك ، اذ قد صدر منهم من الشتائم في الانبياء – اعني في بعضهم – ما يكون كافيا في خلودهم في النار ..

هذه هي الافتتاحية التي مهد بها المؤلف للموضوع ، ومن بعض فقراتها مع تتبع فصول هذا الباب : 35 نستطيع ان نعرف منهاج المؤلف في هذه المجادلات : فهو يعتمد فيها على نصوص التوراة والانجيل والزبور ، مع ما عند مجادليه من صحف الانبياء ، ويعتمد في الانجيل : رواية يحيى او رواية لوقش ، والمؤلف يستخرج من هذه النصوص ما فيها من تخليط وتناقض ليرد على محاوريه بذلك ، كما يقارن بينها وبين سلوك المسيحيين الذي يكذب اتباعهم للتوراة والانجيل ، وهو – في بعض المرات – يورد قليلا من كلام مجادليه : باللغة القشتالية ثم يعربها ، حسب الواقع في صدر المجلس الاول.

وقد تعدت مواضيع هذه المجادلات ، وتناولت : مكانة الدين المسيحي ،

ومسألة الحلول والاتحاد والتجسيم ، والسيد المسيح عيسى نفسه ، والشعائر الاسلامية ، والدين الاسلامي ، وبعض شؤون الآخرة ، والفرق بين الـــروح والنــفــس .

وباستثناء المجلس الاول ، فان المؤلف يحدد البلدان التي عقدت بــها المجالس التالية ، فيذكــر ان المجلس الثاني كان بــمدينة سلمنقــة (37) ، والثالث والسادس : بمدينة « مجريط » والرابع : ببلد « وليدا » ، والخامس : بــمدينة « شقــوبية » .

وقد كان المجادلون له فيهم : اساقفة ، ورهبان ، ووعاظ ، وشمامشة .

يعــرف من هذه الرسالة ثلاث نسخ : الالى : خاصة ، مبتــورة الاول بورقة ، في 150 ص ، ويقع الباب « 35 » المعني بالامر من ص 117 ، الـــى ص 150 ، مسطرة 20 ، مقياس 150/205 ، خط مغربي مليح مكتوب بمحلول السواك ، مع تلوين في الكتابات الرئيسية ، ويتخلله محو في بعض الورقات وشيء من التصحيف ، خال من تاريخ التأليف ، ووقع الفراغ من انتساخــه بل طلوع شمس يوم السبت فاتح المحرم ، عام 1112 هـ على يد ناسخ مكناسي وضع اسمه داخل شكل عدلي ، لم يتبين منه الا كلمتا عبد . . ابــن شمسي ،

النسخة الثانية في الخزانة العامة بالرباط ، رقم 178 ج ، وهي تقع بذيل الجزء الثاني من زهر الاكم لليوسي : من ص 227 الى ص 321 ، ويأتي الباب 35 من ص 301 الى ص 321 ، مسطرة 25 ، مقياس 165/210 ، خط مغــربي لا بأس به يميل للادماج ملون به تصحيف ، وخال من تاريخ التأليف والنسخ واســم النــاســخ .

النسخة الثالثة : في نفس الخزانة رقم 1138 د ، وهي خالية من الباب 35 المعني بالامر ، حيث أن الموجود منها يقف اثناء الباب 26 ، وقد تحدث

عن هذه النسخ بالذات الاستاذ الجليل ، الدكتور احسان عباس ، في مقاله : « رسالتان على غرار الغفران والتوابع والزوابع » (39) .

3 ـ منــاظرات ومراجعــات :

والمعني بالامر هنا محاورات علميه مكتوبة ، وهي تتناول الفقه المالكي بالدرجة الاولى ، كما تتناول التفسير والتصوف والكلام واللغة والنقد الادبي وغير ذلك ، وقد جاءت الاطراف المتحاورة فيها مغربية تارة ، ومختلطة من مغاربة وغيرهم آونة اخرى ، وهذه مواضيع المناظرات والمراجعات واسماء اصحــابهــا :

ا ـ مباحثات في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب المالكي : بيــن ابــى العباس القباب والقاضي ابي عبد الله محمد بن احمد بن عبد المالك الفشتالي الفاسي (40) وابي اسحاق الشاطبي وقد ورد بعضها عند الونشريسي فــي المعيار (41) ، وقال عنها في « نيل الابتهاج (42) » لدى ترجمة القباب : «وله مباحث مشهورة مع الامام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المــذهب احــسن فيهــا غــاية » .

وقد كان القاضي الفشتالي ـ ايضا ـ احد الاطراف المتباحثة في مسألة تعليمية ، وتدور حول ترتيب مادتي التفسير والفقه في التدريس ، جاء فــي ترجمته (43) عند النباهي : « وكان من عادته تقديم دول الفقه على التفسير، وذهب الى عكس هذا الترتيب الشيخ الرحال ابو اسحاق الحسناوي ، احــد جلساء القاضي عند اقرائه في آخرين ، فجرت بين الطلبة ـ اذ ذاك ـ بفاس في المسألة مراجعات ومخاطبات وقفت على بعضها ، فرأيت من تخلق القاضي « يعني الفشتالي » وتجمله ما ليس بنكير على رجاحة عقله وسعة صدره » .

ب ـ مناظرة في مسألة درهم الاعانة : بين القباب ايضا وابي عثمــان

سعيد بن محمد العقباني التلمساني ، حين كان هذا الاخير قاضيا بسلا ايــام السلطان المريني عبد العزيز الاول ، وكانت وفاته عام 811 هـ ــ 1408 م ، وقد جمعها ابو العباس احمد الخطيب ابن قنفذ القسمطيني (44) وسماها : « لب اللباب في مناظرة العقباني والقباب (45) » قال ابو العباس الونشريسي : وهي متداولة في تلمسان ،و لم ارها بفاس الا ما في خزانة البركة المفتي ابي مهدي المــاواســـي (46) .

والمعروف ــ الآن ــ من هذه المناظرة : هو ما اورده الونشريسي في المعيار (47) ، حيث اثبت مراجعة العقباني للقباب ورده لجوابه ، ولم يذكــر كلام القبــاب مستقــلا .

ج ــ مناظرة في مسألة مــن الايلاء : بيــن سعيد العقباني والقبـــاب ايضـــا (48) .

د ــ مناظرة في مسألة من الجزاء : بين فقيهي مدينة فاس : ابي القاسم محمد بن عبد العزيز التازغدري (49) وابي محمد عبد الله بن محمد بن موسى العــبدوســي (50) .

هـ ــ مباحثات في مسائل من التفسير واصول الفقه : وهي سؤالات 29 اجاب عنها محمد بن محمد بن علي الشهير بابن البقال التازي المتوفي بفاس عــام 725 (51) هـ ــ 1324 ــ 1335 م : بلديه كاتب الاسئلة ابازيد عبد الرحمن ابن العــشاب التازي (52) المتوفى عام 724 هـ 1323 ــ 1324 م .

و ــ هل يصح سلوك طريق الصوفية دون شيخ ؟ وانمــا يكتفــي فـــيه بالكتب الموضـــوعة لاهلــه .

وهي مسألة ثارت بالاندلس في النصف الثاني من القرن الثامن هـ ،

وكانت موضوع مناظرات شارك فيها الفقهاء والصوفية بالاندلس ، ثم رفع ابو اسحاق الشاطبي سؤالا يستطلع فيه راي بعض اعلام مدينة فاس في موضوع هذه المناظرات ، وكان السؤال موجها ـ بالخصوص ـ الى عالمين ، وهما : ابن عباد : محمد بن ابراهيم النفزى الرندى نزيل فاس ، والمتوفي بها عام 792 (53) هـ ـ 1390 م ، مع ابي العباس القباب المتكرر الذكر ، وقد اجاب كل من المسؤولين المغربيين بجواب على حدة ، احتفظ بهما ـ معا ـ الونشريسي في المعيار (54) ، ثم كانت هذه المسألة موضوع تأليف خاص لابي زيد ابن خلدون ، في رسالة تحمل اسم «شفاء السائل لتهذيب المسائل (55) » .

ز ـ **مناظرة حول عموم الرسالة النبوية :** وهي مناظرة قصيرة وقعت بمدينة مراكش بين ابي عثمان سعيد العقباني ويهودى يشتغل في العلوم لم يذكر اسمه (56) .

ح ـ **مناظرة حول كلمة : « كان ماذا »** ، جرت بسبتة بين ابن المرحل : ابي الحكم مالك بن عبد الرحمن السبتي المتوفى عام 699 (57) هـ ـ 1300م ، وابن ابي الربيع : عبيد الله بن احمد القرشي الاموي العثماني نزيل سبتة والتموفى بها عام 688 (58) هـ ـ 1289 م ، وقد انكر الثاني ورود كلمة : «كان ماذا » في كلام العرب ، وقال الصواب ماذا كان ، بينما اصر ابن المرحل على صحة هذا التعبير ، وقد ألف كل من المتناظرين في شرح وجهة نظره ، ولا يزال موضوع ابن ابي الربيع غير معروف ، أما رسالة ابن المرحل فقد سماها : « الرمى بالحصا والضرب بالعصى » . وهو يقسمها الى ثلاثة اجزاء صغيرة ، يخص كل واحد منها بعنوان ، فالاول : « جزء يامال » ؟ والثاني : « جزء الواعظ » ، والثالث : « جزء الرميلة » ، ولا تعرف منها نسخة تامة ، وانما وردت قطعة من الجزء الال في حاشية ابي حفص الفاسي

عـلى المغنى لابن هشام (59) ، وهناك قطعة اخرى منها تشمل على آخـر الجـزء الاول مع الجزءين : الثاني والثالث ، مخطوطة خاصة تقع ضمـن محفظة صغيرة من ص 1 الى 29 ، بخط اندلسي مليح مدموج عتيق ، خال من تـاريخ النسخ واسم النـاسخ .

وقد علق ابن غازي على هذه المناظرة بأن ابن ابي الربيع تطفل عـلى مالك ابن المرحل في الشعر ، كما تطفل مالك عليه في النحو (60) ، ويلاحـظ عبد الواحد بن محمد الطواح (61) ان كتاب الرمي بالحصى فيه هنات لا ينبغي لعاقل ان يذكرها ولا لذى طي في البيان ان ينشرها .

ط ـ تعقيبـات في النقـد الادبي : بين ابن عبد المالـك المراكشي : محمد بن محمد بن عبد الملك الانصاري الاوسي المراكشي ، المتوفي عـام 703 هـ (61 مكرر) ـ 1303 م وابن رشيد : محمد بن عمر بن محمد الفـهري السبتي المتوفي عام 721 هـ (62) ـ 1321م ، وقد انتقد فيها ابن عبد المـلك قصيدتين : طائية وميمية في مثال النعل النبوي الكريم لمالك ابن المـرحل آنف الذكر ، ثم رد هذا الانتقاد ابن رشيـد (63) .

4 ـ مـقـاومـة الـبـدع :

امتازت هذه الفترة بوفرة الموضوعات التي كتبت ضد البدع : اصالة او استطرادا وقد بلغ عددها ثمانية ، وهي :

أ ـ كتـاب البـدع ، وينسبه المصدر الآتي : وشيكا ـ لابي الحـسن الصغير : علي بن محمد بن عبد الحق اليالصوتي الزرويلي ثم الفاسي ، المتوفى عـام 719 هـ (64) / 1319 ـ 1320 م وهذا الكتاب لا يزال غير موجود ، والذي اجرى ذكره هو مؤلف « انوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلى (65) » ، بمناسبة بيتين من الشـعر اقتبسهما مـن « كتاب البدع » المتحدث عنـه ،

وموضوعهما في الحض على الاستمساك بالسنـــة ، وقد صدرهما هكذا : «وش
در الفقيه الصالح ، ابي الحسن علي المعروف بالصغير الفاسي ، حيث قال
في كتــاب البدرع له » (66) .

ومن المناسب ان يعاد الى الاذهان ان مؤلف هذا المصدر المنقول عنه
كــانت وفاته عام 787 هـ (67) / 1385 – 1386 م ، وهكذا يتبين ان صاحــب
كتاب البدع هذا ليس هــو الذي رد عليه ابــو عبد الله محمد بن يوســف
السنوسي بكتابه : « نصرة الفقير في الرد على ابي الحسن الصغير » (68)
حيث ان هذا الاخير – حسب تصريح نصرة الفقير – كان معاصرا للسنوسي
المتوفى عــام 895 هـ (69) – 1490 م .

ب – « كتاب **المدخل** الى تنمية الاعمال : بتحسين النيات ، والتنبيــه
على بعض البدع والعوائد التي انتحلت ، وبيان شناعتها وقبحها » ، لابـــي
عبد الله محمد بن محمد بن محمد « ثلاثا » ابن الحاج ، العبدري الفاسي ،
نزيل مصر القاهرة والمتوفي بها عام 737 هـ (70) /1336 – 1337 م :

بناه على حديث : « انما الاعمال بالنيات » ، وذكر فيه كثيرا مما اغفله
النــاس من مهمات الدين ، وكشف عن معايب وبدع يتساهل فيها بالمشــرق
والمغرب معا ، وكان يهدف فيه الى وضع تصوف للفقهاء (71) ، وقد نوه به
ابن فــرحون (72) وقال : « هو كتاب حفيل ، جمع فيه علما غزيرا ، والاهتمام
بالوقوف عــليه متعيــن » .

وفي صدد البدع التي استنكرها يلاحظ ابن حجر العسقلاني (73) ان
بعضها مما يحتمل ، كما ان محمد بن حسن بن علي النواجي يأخذ عليه انه
تفرد بغرائب لا توجد عــند غيره (74) .

وقد قصد مؤلف كتاب « سنن المهــتدين في مقامات الــدين (75 » ان

ان يلطف بهذا الكتاب كثيرا من تشديدات صاحب المدخل في تصنيف جزئيات البــــدع (76) .

تكرر طبع المدخل بمصر ، واورده سركيس في معجمه عمود 71 .

ج ـ فتوى ضد بعض الفرق الصوفية ، لابي فارس عبد العزيز بن محمد القروي الفاسي المتوفي عام 750 هـ (77) /1349 ـ 1350 م ، وهي فتـــوى مطولة ثبت نصها عند الونشريسي في المعيار (78) .

د ـ هداية من تولى غيـر الرب المولى لابي حفـص عـمـر بن موسى **ابن محمد** الرجراجي نزيل فاس ثم تونس عام 819 هـ 1416ـ1417 م ، وهـو غـير ابي حفص عمر الرجراجي امام فاس الشهير (79) ، وانما اتفقا فـي الاسم ثم اختلفا في اسم الاب ، حيث ان المترجم يسمي نفسه طالعة كتـابه الذي نتحدث عنه : عمر بن موسى بن محمد ، بينما سمي الثاني عمر بـن محمد (80) وايضا : فان هذا الاخير يتفق مترجموه على ان وفاته وقعت عـام 810 (81) هـ ، على حين يتحدث الاول في كتابه المذكور عن عـام 819 هـ ، على حين يتحدث الاول في كتابه المذكور عن عام 819 هـ ، حيث كان لا يزال بقيد الحياة في تونس (82) ، والدليل الحاسم في هذا الصدد هو ان مـؤلف هداية من تولى ينقل في هذا الكتاب عن ابي حفص عمر الرجراجي الفـاسي كلمـات من خطبة سمعها منه بفاس ، اثناء الباب الرابع (83) .

وهكذا تتميز شخصية المترجم الذي يقدم في كتابه المذكور معلومات مقتضبة عن اسماء بعض اساتذته ورحلته للحج واقامته بتونس، وقد ورد ذكره ـ ايضا ـ عند البرزلي في كتاب الجامع من نوازله (84) ، ولا يبعد ان يكون هو المترجم في السلسل العذب (85) باسم « الرجراجي ابو حفص عمر » ، وقد استقر ـ اخيرا ـ بحامة قـابس وبها توفـي ، قـال فـي شجرة النور الزكية (85 مكرر) : وقبره لهذا الوقت يزار ، متبرك به وهناك معلومات اخرى

عنه وردت في « فهرسة الرصـــاع » اثناء ترجمـــة شيخه ابي الحسن علي الجبـــالـــي .

وبعد هذا فان « هداية من تولى » ليس مصنفا في البدع بالذات ، وانما موضوعه هو السياسة التي يمزجها المؤلف بالتصوف وقد رتبه على مقدمـــة واربعـــة أبواب : الباب الاول : فيما للسلاطين ، الباب الثاني : فيما عليهم ، الباب الثالث : فيما ينبغي لهـــم ، الباب الرابع فيما ليس لهم ، وهو فـــي البـــابين الثالث والرابع : ينتقد كثيرا من البدع التي عاش معها بمدينة تونس.

لا يزال الكتاب مخطوطا ، ومنه نسخة بالخزانة العامة بالرباط ضمـــن مجموع يحمل رقم ك 383 ، من ص 85 الى ص 214 ، كما توجد منه نسختـــان بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 3912 ورقم 6733 .

ورد ذكره في « تحلية الاذان والمسامع بنصرة الشيخ ابن زكري العلامة الجامع » لاحمد بن عبد السلام بن محمد بن احمد البناني الفاسي (86) .

وكما قلت آنفا فان « هداية من تولى غير الرب المولى » ليس كتابـــا موضوعيا للبدع التي تناول مجموعة منها بالاستطراد ، وهذا ـ ايضا ـ شأن الكتابين التاليين ، غـــير ان هذين الاخيـــرين لا يستعرضان مثـــل مجموعـــة سابقهما ، ومع هذا سنذكرهما تتبعا لمظاهر مقاومة البدع في هذه الفترة حـــسب الامكان :

هـ ـ شرح القواعد للقاضي عياض ، الشارح : ابو العباس احمد القباب المتكرر الذكر ، وقد استنكر في هذا الشرح بعض البدع التي تقع بفـــاس ، عند صلاة التراويح في رمضان (87) .

و ـ شرح رجزابي مقرع في الفلك ، لابي زيد عبد الرحمان بن محمد

ابن عبد الرحمن المديوني ثم الجادري به عرف ، الفاسي ، المتوفي بها عام 818 هـ (88) / 1415 م ، اعترض فيه ما يقع بالمغرب من تعظيم اليوم الاول من يناير ويوم العنصرة (89) .

* * *

ولم تخل هذه الفترة من معارضة مكتوبة ، صدرت عن بعض العلماء الذين تفاوتت لهجتهم في نقد سياسة الحكام المعنيين بالامر ، وترددت بين اللين والشدة ، حسب النموذجين اللذين نقدهما في هذا الصدد ، ويتضمن النموذج الاول فقرات من رسالة نصحية رفعها الامام ابن عباد السالف الذكر، الى السلطان المريني عبد العزيز الاول (90) ، وهي مكتوبة باسلوب ازدوجت فيه اللباقة بالحزم ، وقد جاء فيها .

« وقد كنت طلبت منكم – في آخر كتاب كتبته لكم – ان تزيلوا مظالم الرتب (91) التي احدثت بطرق المسافرين ، واخبرناكم بما شاهدنا فيها من المفاسد المشينة لحسن دولتكم ، والمكدرة صفاء حالكم ، فلم تسعفوا طلبتنا بذلك ، وشاء الله بقاءها .

وأنا – الان – اجدد الرغبة اليكم في ذلك والاخبار بحالها ، فاعلم – يا أمير المومنين – ان من تولى ذلك من اهل الفساد والشرقد انتشروا في بسيط الارض ، وقطعوا طرقاتها على المساكين والمستضعفين ، وحازوا منهم الاموال الحرام : بالنهب والغضب ما استعانوا به على ارتكاب الكبائر والفواحش ، حيث لا تنالهم احكامكم ، وهم أراذل الناس وسفهاؤهم ، لم يدينوا الله بدين ، ولا دخلوا في غمار المسلمين ، ولو رأيتم – يا امير المؤمنين – حالي معهم عند قدومي من فاس ، وما كنت فيه من الذلك والمسكنة بين ايديهم ، وكنت اعدى عدو لكم – والعياذ بالله – لادركتكم شفقة الايمان على كل من يبتلى بها ، حيث لا ناصر له ولا معين .

وما كنت ذكرته لكم في ذلك الكتاب : من ان السلطان ابا الحسن والدكم ـ رحمه الله ـ كان قد قطعها فهو شيء سمعته من بعض الناس صدقته فيه ، لما اشتهر في زمانه من العدل والقيام بالحق وازالة السنن القبيحة ، وأردنا منكم الاقتداء به في ذلك ، فلما بان خلاف ذلك . وصح ان السلطان ابا عنان ـ رحمه الله ـ فعل ذلك انفنا لكم ان ينفرد (اخو) (92) كم بمثل هذه المنقبة ، دونكم ، وان يحظى بفعل حسن يدفع به عن ابيكم سوء عاقبة هذه السنة السيئة في دنياه وآخرته ، بل اردت منكم ان تكونوا من اعظم حسناته التي يلجأ اليها يوم القيامة عند شدة فقره وفاقته ، وما اعظم هذا شرفا لكم في دنياكم واخراكم ، حقق الله امالنا في ذك ، بمنه وكرمه ، فان اردتم كمال الشرف والفخر ، والفوز باعالي درجات البر بوالدكم ، وان تدخلوا عليه في قبره من المسرات ما تقر به اعينكم ، فاعرضوا سيره مدة خلافته على مقتضى الدين والشرع ، فما رأيتم من ذلك موافقا فأقروه ، واحمدوا الله على توفيقه له لكم ، وما رأيتموه مخالفا فازيلوه واستغفروا له ربكم ، واحمدوا الله على ما الهمكم ، ولا تحملوا حاله كله على الاصابة والموافقة فتتبعوه من غير نظر فيما ذكرناه ، فان العصمة من الخطأ مستحيلة على غير الانبياء عليهم السلام ...

(و) عليكم ان تتفقدوا عمالكم ، وتعتقدوا ذلك من صالحات اعمالكم ومما يجب لرعيتكم عليكم ، فانه قد ظهر منهم الغش وعدم النصيحة لكم ولرعيتكم ، وحاصل امرهم انهم تمكنوا من الرعية كل التمكن ، واحدثوا سننا غير مشروعة ، (وفعلوا عليه مما يوافق اغراضهم) (92 مكرر) مما يكسبهم المال والجاه ، وتوصلوا بذلك الى جباية اموالهم والاستيلاء على رقابهم بالجبر والقهر ، واشتروا رضى انفسهم بسخط الله تعالى ، ولم يراقبوا فيكم ولا فيهم الا ولاذمة ، واصطلحوا على ان لا يصل اليكم مما يجبون الا التافه اليسير ، وصار في ذلك لهم ولاتباعهم واشياعهم مأكل وتوسعات لم

ينالوها بكد ولا تعب، وتوسلوا بها الى معاصي الله تعالى وارتكاب مساخطه ، غير مكترثين بكم ، ولا حامدين ولا شاكرين لكم ، واعظم المصائب سؤال الله لكم عن ذلك ، ودعاء المظلومين عليكم ، وقد ورد في الحديث : ان دعوة المظلوم مجابة وان كانت من كافر .

واعلم يا امير المؤمنين : ان العدالة مشروطة في كل ولاية ـ كائنة ما كانت ـ لا بد للمستولي من الاتصاف بها : وهي ان يكون صادق اللسان ، ظاهر الامانة ، عفيفا عن المحارم ، متوقيا للمئاتم ، بعيدا من التهم والريب ، مامونا في الرضى والغضب ، مستعملا لخصال المروءة الدينية والدنياوية ، فهذه الخصال هي التي ذكر العلماء ان باجتماعها تكون العدالة في الولاة ، فاذا تكاملت فيهم صحت ولايتهم ، ونفذت احكامهم ، وان انخرم منها وصف لم تمض له ولاية ، ولا ينفذ له حكم ، فعليكم ان تولوا اعمالكم من اجتمعت فيه هذه الخصال ، وملاك ذلك ان لا يتولى طالب لها ولا راغب فيها ، وهذا هو شأن اكثر عمال هذا الزمان ، الا ما عساكم تتداركونه فحسن .

فعليكم ـ يا امير المؤمنين ـ ان تتصفحوا احوالكم ، وتتفقدوا عمالكم ، وتكفوا ايديهم ، وتستخرجوا منها ما خانوكم فيه : انتم ومن تقدمكم ، وذلك بأن تتعرفوا مقدار ما كان يملك احدهم من المال قبل الولاية وتأخذوا ما زاد عليه وتجعلوه في بيت مال المسلمين ، كما كان يفعله الخلفاء الراشدون ... ولا شك انكم تملؤون بذلك بيوت الاموال، وتستغنون بذلك الاستغناء التام، عما احدث من المظالم والمراسم والمغارم الضارة برعيتكم ، والعائد ضررها عليكم في الدنيا والآخرة ، اعاذكم الله من ذلك » .

والى هنا نكتفي بهذه الفقرات من كلام ابن عباد ، لنقفي عليها بنموذج ثان في معارضة سياسة احد سلاطين بني مرين ، وسنقدم هذه المرة فتوى (93) صارخة للامام عبد الله العبدوسي المتقدم الذكر ، فقد سئل ـ ضمن شيوخ

فاس – عما حبسه السلطان المريني ابو عامر بن ابي العباس احمد بن ابي سالم ، على ضريح جده هل يمضي ام لا فأجاب :

« ان الملوك فقراء مدينون بسبب ما احتجروه على المسلمين بتصرفاتهم في اموال بيت المال بالهوى : في ابنية الدور العالية المزخرفة ، والمراكب النفيسة ، والاطعمة الطيبة اللذيذة ، واعطاء الاصدقاء والمداح بالباطل من الاموال ، الى غير ذلك من التصرفات المنهي عنها ، فهذه كلها ديون عليهم تكثر مع تطاول الايام ، فلا تصح تبرعاتهم وتحبساتهم وهباتهم وصدقاتهم الى غير ذلك : لا على اولادهم ، ولا على غيرهم من قرابتهم ، او غيرهم من اصدقائهم : فان وقفوا على احد ممن ذكرنا لم ينفذ وقفهم ، وحرم على من وقف عليه تناوله لهذا الوقف ، ولهذا السلطان او غيره ممن ولي بعده انتزاعه واسترجاعه لبيت المال ، ثم بيعه ان كان ممن يصح بيعه ، او صرفه في مصلحة من مصالح المسلمين ، على ما أداه اليه اجتهاده من المنهج الارجح ، والوجه الاصلح ، بل لو حبسوا حبسا على جهة من جهات البر والمصالح العامة ونسبوه لانفسهم – بناء على ان المال الذي في بيت المال لهم كما يعتقده بعضهم – لبطل الحبس ، ولا يصح الا ما حبسوه معتقدين ان المال للمسلمين والوقف للمسلمين ، اما ان المال لهم والوقف لهم فلا ، كمن وقف مال غيره على أنه له فلا يصح وقفه ، فكذلك هنا لا يصح التحبيس في الموضع المذكور بوجه ولا حال ، وتحبيسه وعدم تحبيسه سواء ، اذ المعدوم شرعا كالمعدوم حسا ، واسترجاع من استرجعه صحيح ماض نافذ ، والحكم بيعه للحبس ، وامضاء الحبس فيه واجب لازم ، ويكفي شهرة الاستغراق عن ثبوته ، اذ علم ذلك ثابت متقرر عند الجماهير من الخاصة والعامة ، وذلك يغني عن اقامة البينة على ذلك ، لا يقال : لابد من البينة عليه وتعينها ليعذر للمحبس عليهم فيها ، لان هذا من المواضع التي يسقط الاعذار فيها ، وبالله – سبحانه – التوفيق ، وهو المرشد الى سواء الطريق بمنه .

وانـظر احكام ابن سـهل ، واكراه النـوادر ، والواضحـة ، وامـوال الداودي ، والحلال والحرام لراشد ، وقواعـد القرافـي : يلح ما قررتـه ، والمسألة اشهر من ان تحتاج الى جلب نصوص العلماء عليها ... » .

ومن مظاهر المعارضة الشفاهية موقف كل من الشيخ يوسف بن عمر الانفاسي وابي العباس القباب المتكرر الذكر مع احد وزراء بني مرين ، وقد كان هذا الاخير اعتزم تغريم ديار فاس ورباعها ، فزاره شيخا فاس وكلماه في المسألة ، وواجهه الانفاسي بانتقاد شديد اللهجة (93 مكر) .

* * *

ومن ملحقات هذا الموضوع ما قام به عدد من المغاربة خارج المغرب من مقـاومة البدع والدعوة الى الاسلام ، ونقدم ــ في هذا الصـدد ــ خمسة امثـلـة :

الاول : في رجب عام 700 هـ ــ 1301 م استنكر وزير مغربي زار القاهرة الامتيازات التي كان المسيحيون واليهود يتمتعون بها في مصر ، وقد أثـر كلامه عند المستنيرين من اهـل الدولة ، فاستجابوا له ، وبـادروا بابـعاد النصارى واليهود من الجهات السلطانية والامراء ، ثم اصدروا اوامر بتنظيم وضعية هؤلاء وسلوكهم في سائر جهات المملكة المصرية : من دنقلة فـي السودان الى الفرات في العراق ، وقد اسلم في هذه المناسبة جماعة كثيرة مـن النصـارى (94) .

الثانـي : كان ابو البركات البربري المغربي هو الذي اسلم عـلى يده سكان جزيرة ذيبة المهل (95) .. وقد عرض على ملك هذه الجزيرة ــ وكان يدعى « شنورازة » ــ الاسلام في قصة طويلة ، فأسلم واسلم اهله واولاده واهل دولتـه ، وتمذهبوا بالمذهب المالكي الذي يقلده داعيتهم للاسلام ، وقد قرأ ابن بطوطة على مقصورة جامع هذه الجزيرة منقوشا في الخشب : « اسلم السلطان احمد سنورازة على يد ابي البركات البربري المغربي (96) » .

الثـالث : جاء في بعض النشـرات (97) عن اسلام اهـل جزيرة جاوة مـا يـلـي :

« دينهم الاسلام ، اعتنقوه في اواخر المائة الثامنة من الهجرة واوائل القرن التاسع ، على يد طائفة من رجالات المغاربة من اسرة الكتاني الموجودة الـى اليوم في مـراكش ، حسبما هو مكتوب ومنقوش على المشاهد والواح المرمر التي فوق قبور اولائك الدعاة ، والتي لا تـزال ماثلة واضحة القراءة بخطوط بديعة ، وهذه القبور تـعـرف حتى الآن بين عامة الجاويين بقبـور المغاربة في مدينة بنتام في اقصى الجزيرة الغربي » : « على بعد 100 ك. م. من جاكرتـا بأندونسيـا » .

وهكذا يؤكد هذا المصدر ان المغاربة هم الذين نشروا الاسلام بجاوة ولكن « دائرة المعارف الاسلامية » في مادة « جزائر الهند » (98) : لا تحدد جنسية هؤلاء الدعاة ، وانما تذكر ان رواية اهل هذه البلاد تنسب الفضل في ادخال الاسلام للجزيرة الى دعاة ثمانية او تسعة ، بينما يذكر مصدر آخر(99) ان الاسلام انتشر في هذه الجزيرة على يد مالك ابراهيم الملقب ــ على حد تعبيره ــ بمولانا المغربي ، المتوفي عام 822 هـ ــ 1419 م .

الـرابع : مغربي زار تونس في عشرة التسعين وسبعمائة للهجرة ، ثم استقر بالاسكندرية ، وبـهـا اجتمع معـه ابو القاسم البرزلي ، الذي يسميه بالشيخ الدكالي ، وقد انكر هذا على اهل تونس اشياء عدها بدعا ، واجاب البرزلي عن ذلك بما هو مذكور في نوازله (100) .

ولا شك ان الدكالي هذا هو الوارد في انباء الغمر بانباء العمر (101) ، في ترجمة قصيرة ضمن حوادث عام 797 هـ حيث كانت وفاته ، وقد سماه ابن حجر بأبي عبد الله الدكالي ، وهناك ترجمة اطول في فهرسة الرصاع(102) الذي يذكره باسم ابي عبد الله محمد الدكـالي .

الخامس : ابو حفص عمر الرجراجي ، وقد تقدم ذكره ، مع الاشارة الى انه انتقد كثيرا من البدع التي عاش معها بمدينة تونس ، ونذكر هنا ان البرزلي اجاب عنها مسألة مسألة في نوازله ايضا ، ثم لخص بعض ذلك تلميذه ابو عبد الله البوسعيدي في اختصاره للنوازل المذكورة (103) .

هل تأثر المغرب المريني بافكار ابن تيمية ؟

الآن - وقد درسنا جملة من مظاهر مقاومة البدع - نتساءل هل كان للمغاربة في هذه الفترة صلة بأفكار تقي الدين ابن تيمية ، التي ظهرت في سورية بالخصوص عند الربع الاول من القرن الثامن للهجرة (104) ؟ .

ولهذا سيكون من المفيد استعراض المغاربة المعروفين بروايتهم عن ابن تيمية ليلاحظ هل تأثروا بأفكار استاذهم ، وسنجد عدد هؤلاء لا يتعدى خمسة : اربعة منهم سبتيون ، وواحد من مدينة ازمور ، وقد اتصل اثنان من الاربعة بابن تيمية مباشرة ، بينما روى عنه ثلاثة بالمكاتبة فقط ، وهذه اسماؤهم :

1 - ابو القاسم التجيبي : القاسم بن يوسف بن محمد السبتي المتوفى عام 730 هـ /1329 - 1330 م ، وهو يذكر في برنامجه (105) : انه اتصل بابن تيمية في دمشق وسمع من فلق فيه - على حد تعبيره - جميع جزء فيه حديث ابي علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي وذلك بمدرسة القصاعين داخل هذه المدينة ، كما سمع عليه - بنفس المدرسة من فلق فيه ايضا - ثلاثة من مؤلفاته ، وهي « بيان الدليل على بطلان التحليل » ، و « كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول » صلى الله عليه وسلم ، و « رفع الملام عن الايمة الاعلام (106) » .

والظاهر ان التجيبي هذا هو الذي كتب ابن تيمية برسمه الرسالة المعنونة « بوصية لابي القاسم السبتي » وقد ورد اسمها ضمن مجموعة مخطوطة بالخزانة التيمورية رقم 314 (107) .

2 ـ وبعد التجيبي يروي سبتي آخر عنه مكاتبة ، وهذا لا يوضح المصدر المعني بالامر اسمه ، وانما يخططه بصاحب سبتة الذي التمس من ابن تيمية ـ لما كان معتقلا بالاسكندرية ـ ان يجيز له مروياته ، وينص على اسماء جملة منها ، فكتب في عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظة ، هكذا ورد في « الكواكب الدرية (108) » ، وقد كان اعتقال ابن تيمية بالاسكندرية مدة من ثمانية اشهر أخرها اليوم الثامن من شوال عام (109) 709 هـ/1311م ، وفي هذا التاريخ كانت سبتة تابعة لغرناطة بعد التغلب عليها من طرف محمد بن الاحمر المعروف بالمخلوع (110) ، فعلى هذا قد يكون المراد بصاحب سبتة هو ابو طالب العزفي (111) الذي كان واليا على هذه المدينة قبل الاعتداء الاندلسي عليها .

3 ـ عبد المهيمن بن محمد عبد المهيمن الحضرمي السبتي المتوفي عام 749هـ / 1349م ، روى عن ابن تيمية مكاتبة (112) .

4 ـ عبد الله بن ابراهيم الزموري من اشياخ الابلي الذي روى عنه انه سمع ابن تيمية ينشد لنفسه بيتين في ذم « محصل افكار المتقدمين والمتأخرين للفخر الرازي (113) .

5 ـ محمد بن احمد بن ابراهيم التلمساني الانصاري الاصل التونسي الدار ، المتوفي عام 764هـ/1362 م ، روى عن ابن تيمية مكاتبة ، (113 مكرر).

فهؤلاء خمسة مغاربة كلهم رووا عن الامام ابن تيمية ، ولا نزال لم نقف ـ بعد ـ على مدى تأثرهم بأفكاره ، وهناك مغربيان ـ سوى الاربعة ـ لازما ابن تيمية كثيرا ، وقد ساق خبرهما ابن كثير في « البداية والنهاية » في حوادث عام 749 هـ ، دون ان يحدد نوع مغربيتهما ، وهو يسمي الاول : الشيخ عليا المغربي » ، ويقول عنه :

« وفي يوم السبت ثالث رجب » عام 749 هـ ، صلى على الشيخ علي

المغربي » احد اصحاب الشيخ تقي الدين ابن تيمية بالجامع الافرمي بسفح قاسيون ، ودفن بالسفح ، رحمه الله (114) » .

اما المغربي الثاني فيسميه : « الشيخ عبد الله بن رشيق ، ويقول عنه:

« وفي هذا اليوم » يوم عرفة 749 هـ توفي الشيخ عبد الله بن رشيق المغربي كاتب مصنفات شيخنا العلامة ابن تيمية ، كان ابصر بخط الشيخ منه، اذا عزب شيء منه على الشيخ استخرجه ابو عبد الله هذا ، وكان سريع الكتابة ، لا بأس به (115) » .

5 ـ مجتهدون وظاهرية :

عاد المذهب المالكي للظهور بالمغرب من اوائل هذه الفترة ، وطبيعي ان يصادف هذا الحادث ارتياحا في اوساط الفقهاء المالكية بالخصوص ، ولقد ظهر هذا الارتياح على لسان بعض الشعراء ايضا ، وهو مالك ابن المرحل السابق الذكر ، والذي قال في هذا الصدد : في بيتين على سبيل التورية :

مذهبي تقبيل خد مذهب	سيدي ماذا ترى في مذهبي ؟
لا تخالف مالكا في رأيه	فبه يأخذ اهل المغرب (116)

ومرة اخرى يعود نفس الشاعر ليعلن احترامه للامام مالك ويقول :

وما انا الا عالم كل عالم فـفي الشعر حسان وفي الفقه مالك (117)

وبعد هذا يلاحظ انه في العصر المريني الاول ـ اكثر من غيره ـ ظهرت ـ ولو بقلة ـ بعض التيارات المخالفة للمذهب المالكي ، حيث يعثر بأسماء توصف بالاجتهاد او تنتسب للمذهب الظاهري، ولا يتعدى عدد المعروف من هؤلاء تسعة ، وهم :

1 ـ ابو عبد الله محمد بن علي بن يحيى ، قاضي الجماعة بمراكش، المعروف بالشريف شهرة لانسبا ، المتوفي عام 682 هـ/1283 ـ 1284 م ،

حــلاه في « الذخيرة السنية (118) » ، بالمجتهد ، وقال عنه ابو حيان (119).
انــه يميل الـى الاجتهــاد .

2 ــ عبد المهيمن بن محمد الاشجعي البلذودي نزيل مراكش ، توفي ــ قتيلا ــ بسعاية ابي فارس عبد العزيز الملزوزي لما هجاه ، وذلك عـــام 697هـ/1297 ــ 1298م ، وقد كان هذا يعتنق المذهب ، الظاهري ويتعصب له ويناضل عــنه بجهــده (120) .

3 ــ محمد بن عمــر « ابن رشيد الفهري » السالــف الــذكر ، جــاء في ترجمته من الدرر الكامنة (121) نقلا عن تلميذه ابن المرابط :

« كان شيخنا ابن رشيد على مذهب اهل الحديث في الصفات : يمرها ولا يتأول وكان يسكت لدعاء الاستفتاح ، ويسر البسملة ، فانكروا عــليه ، وكتبوا عليه محضرا بأنه ليس مالكيــا .... » .

4 ــ 5 ــ جاء في « روض القرطاس (122) » عند ذكر قضاة ابي سعيد المريني الاول « .. ثم الفقيه الاجل ، العالم الاوحد ، المشاور **المجتهد** ، قاضي الجماعة ، ابو عبد الله محمد ، بن الشيخ الفقيه ، العالم ، المحدث ، **المجتهد**، الصالح الورع المبارك ، قاضي الجماعة ابي الحسن بن ابي بكر المليلي .

هكذا يصف هذا المصدر كلا من الابن ووالده بالمجتهد من غير تقييد، مما يتبادر منه ان الاثنين كانا يملان للاجتهاد ، وقد ترجمهما ــ معــا ــ في « جذوة الاقتباس (123) » دون ان يذكر وفاة الثاني وانما ذكر ان وفاة الاول كانت في عام 737هـ/1336 ــ 1337 م ، ويلاحظ انه لم يصف واحدا منهمـــا بالاجتهـــاد .

6 ــ موسى بن يمويمن بن باكر بن ياسين الحساني الهسكوري ثــم الفاسي المعروف بالبخاري ، كان بقيد الحياة عام 723 هـ/1323م في غــالب ظــن مؤلف « درة الحجــال » (124) .

وقد كان ــ حسب الرسالة الآتية ــ يدعى الاجتهاد ، فانكر عليه هــذه

الدعوى زعيما فقهاء فــاس : ابو الحسن الصغير سالف الذكر ، وابو اسحاق ابراهيم بن علي المعافري السريفي ثم الفاسي (125) ، وقد كتب هذا الاخير ــ في شانه ــ رسالة مطولة (126) الى السلطان ابي سعيد المريني الاول، بمناسبة نازلة راجع فيها المذكور مفارقته بعد ثلاث تطليقات ، مضافا الى ذلك دعواه الاجتهاد ، وفي صدد هذه الدعوى جاء في الرسالة :

« . . . مسألة البخاري المضل ، قد ظهر فيها من عظيم المنكــر المستبيح لوجه ما ظهر من عقوبة بين ايديكم ، ما نفذ على ما هو به مما كان مستحقا لــه قبل ظهور تلك الكبيرة عليه ، لجرءته على العلم والعلماء ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعواه **الاجتهاد** في دين الله ، وربمـــا نسب التقصير لغيره ممن تقدم من الاكابر المقتدى بهم ، وصدقه الاغـــمار والاوغاد في ذلك ، بل اعطوه فوق ما ادعي ، فصار يعبث في دين الله كيــف شــاء ، لا يبالي ما صنــع ، واكد هذا كله بمخالطة اولي الامر من القضاة والحكام وذوي الجاه والسلطان ، تلبيسا منه على العامة ايضا ، فزاد عليها صولة ، فصارت العامة تهابه لذلك ، وعرف ذلك منهم فصار يضر بهم فـــي المعاملات ، وهذه قاصمة الظهر في الدين والدنيا ، ومفسدة عظمى لا يحــل لمن بسطت يده في الارض الا بقاء عــليها البتة ، بعد البحث عــليها حتى يصل الــى العــلم .. » .

ثم قالت الرسالة : « وليت الامر اذ افضى فيه الى ما افضى ، اقتصــر عــليه على انه شر حيث كان ، فانه صار في سجنه يتأسى لاتباعه الاخبــار من الماضين ، مثل امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه ، وسعيد ابن المسيب سيد التابعين ، ولبس الشقي فشبه الملائكة بالحدادين ، واعتبر الغبي بمجرد الضرب دون سببه ، وهو من تهاونه بالدين ولعبه ، فـــصار الاتباع وغيرهم من الاغبياء ــ لاجل هذا ــ يستصغرون ما ظهر عليه ، بـــل كلهــم ــ في ظني ــ يرونه مشروعا ، ويجل الشيخ عندهم ان يعمل بغـــير الـشـــرع ... » ،

والى هنا تنتهي الفقرات المقتبسة من هذه الرسالة ، وهي تفـيــد ان المجتهد المعني بالامر صار له اتباع يقتدون به ، كما كانت له مخالطة لاولي

الامر من القضاة والحكام وذوي الجاه والسلطان ، ومع هذا تقدم الرسالة نموذجا من موقف الفقهاء المالكية ازاء دعوى الاجتهاد في هذه الفترة ، وايضا نتبين ان البخاري هذا التف عليه شبه جمعية تقلده ، وقد كان مآل امره انه ارتحل من فاس الى الاندلس ، ثم الى تونس (127) .

7 ـ 8 ـ ويلحق بهؤلاء الستة : ابو عبد الله الدكالي ، ثم ابو حفص الرجراجي ، وقد تقدم ذكرهما ، ويصف البرزلي الاول بانه من اهل الحديث، كما يقول عن الثاني : ولا ادري مذهبه : محدث ، او مالكي ، او ظاهري ؟ (128) .

9 ـ ابوزيد عبد الرحمن بن علي بن عمر بن عبد السلام المعافري المعروف بالوقاد .

قال ابن غازي عنه : « فقيه ، حافظ محدث ، قيل انه بلغ درجة الاجتهاد ، اخذ عن ابي عبد الله ابن جابر ، وكان بفاس ، وانتقل لمراكش وتوفي بها » (129) .

ولم يذكر ابن غازي تاريخ وفاته ، وانما المعروف ان استاذه ابن جابر توفي بمكناس عام 827 هـ (130)/1423 ـ 1424 م .

ونذكر في ذيل هذا الموضوع ان عالما مغربيا اضطلع ـ اثناء هذه الفترة ـ باسناد مؤلفات ابن حزم الظاهري ، وكان هذا هو ابن عمر اللخمي : محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي ، المتوفي عام 794 هـ/1391 م ، ومن طريقه يسندها المنثوري حسب الفقرة التالية :

« تآليف الحافظ ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ـ وهي نحو من ستين تأليفا ومنظوماته ـ حدثني بها استاذ ابو عبد الله ابن عمر ، عن الاستاذ ابي الحسن علي بن سليمان ، عن الخطيب ابي الحجاج بن ابي ريحانة .. » (130 مكرر) ،

6 ـ جماعات واتجاهات صوفية :

ظهر ـ بالمغرب ـ في هذا العصر : جماعات صوفية التزمت العمل بالكتاب والسنة ، وابتعدت ـ الاقليلا ـ عن تيار التصوف الفلسفي ، مع عناية زائدة بالجانب التربوي العملي من التصوف (131)

وكان اشهر هذه الجماعات طريقتان : اولاهما : طريقة **ابي مدين** : شعيب ابن حسين الانصاري الاندلسي الاصل (132) ، دفين ضاحية العباد من تلمسان ، والمتوفى عام 594 هـ /1198 م ، اما الثانية فكانت هي طريقة **ابي الحسن الشاذلي** علي بن عبد الله بن عبد الجبار الحسني الادريسي، الغماري الزرويلي ثم الشاذلي (133) ، المتوفي عام 656هـ/1258 م .

وقد كان ابو مدين يعتمد الغزالي في كتابه « احياء علوم الدين .. » الذي جعله نصب عينيه ، وهو يقول في هذا الصدد : « طالعت اخبار الصالحين من زمن اويس القرني الى زماننا فما رأيت اعجب من ابي يعزى ، وطالعت كتب التذكير فما رأيت كالاحياء للغزالي (134) .

ثم تفرع عن مدرسة ابي مدين طريقتان مغربيتان :

أ ـ طريقة ابي محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الدكالي ثم الماجري، (135) ، دفين آسفي ، والمتوفي في عام 631 هـ/1234 م ، ويعرف اصحابه بالماجريين ومنهم الدكاليون (136) .

وقد كان من آكد اركان هذه الطريقة : دعوة الاتباع الى حج بيت الله الحرام ، وزيارة السيد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام ، ومن كلام المنهج الواضح (137) في هذا الصدد :

« وقد اجمعت فضلاء المغرب ـ خصوصا وعموما ـ على ان الشيخ رحمه الله ـ هو الذي فتح الله تعالى طريق الحج من المغرب على يديه ، حتى حجه كل عاجز وقادر عليه (138) » .

ب ـ طريقة ابي زكرياء الحاحي : يحيى بن عمرو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى ، ظهر آخر المائة السابعة هـ ، وتاريخ وفاته مجهول ، وهو مدفون بتيغزا من بلاد حاحة ، ويعرف اصحابه بالحاحيين (139) ، ولا تزال تعاليمه غير مضبوطة ، والمعروف عنه هو الذي سيقدمه النصان التاليان ، فقد تحدث عنه في انس الفقير (140) ، وقال :

» .. واحفاده واصحابه يقولون : شيخه ابو القاسم البكري ، وشيخ

البكري ابو سعيد ، وشيخ ابي سعيد الشيخ ابو مدين ... وكان لابي زكرياء هـذا ـ عند الجمهور ـ قبـول تام ، وله في الفقـر كـلام حسن ، وتحقيـق وتدقيق ، ووصايا حسنة : بكلام لا يصدر الا عن عالم اوولى ، وكذب اكثـر الناس ـ خصوصا العلماء ـ انفراده بالاحوال في طريقته ، وتغالى الجـهلة من تلامذته في تعظيمه وتحقيقه ، وشدة اقتدائهم بجزئياته وتغليظه وترذيته ، وقوة انقباضهم عمن خرج عنه في تغريبه وتشريته او ركن الى غيره في المعيته وجمعـه وتفريده ، وهذا هو موجب ضلال جهلتهم ، وهو السبب فيما صدر عـن العلماء في مشيختهم ، وفي طائفته اخيار صلحاء ، فلا تظن النـــاس كـلهم سـواء » .

هذا كلام ابن قنفذ ، وفيه يحلل سلـوك اتباع ابي زكرياء الحـاحي ، ويصنفهم في نوعين ، ليصدر حكمه ازاء كل فريق على حدة ، ونفس الملاحظة قـام بها ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن (141) ، وقال في هـــذا الـصـدد :

« وله اتباع على طريقته ، واتباع جهلة رعاع لا يفقهون ولا يفهمون ، نقلت عنهم امور لا ينكر صدورها منهم ، اوجبت طعن جماعة من العـلماء في الطائفة كلها واطلاق القول فيهم ، وهذه مصيبة عظيمة من الفريقين ، وقـد رأيت جماعة من الاعلام وكبار الاولياء ينتمون له ويسلكون طريقته ، وينشرون مناقبـه ، منهم الولي العارف ، المتفق على ولايته في عصرنا ، ابو العباس احمد بن عاشر ، الاندلسي الشميني ... الخضراوي السلوي الاستقرا اخيرا».

وهكذا يتضح ان هذه الطريقة مع طريقة ابي محمد صالح كان لهمـــا ظهور بالمغرب ، ومـما يؤكد هذا قول ابـن مرزوق في المسند الصحيـح الحـسن (142) ايـضا :

« واما الربط على ما هو المصطلح عليه في المشرق ، فلم ار في المغرب ما على سبيلها ونمطها الا رباط سيدي ابي محمد صالح ، والزاوية المنسوبة لسيدنا ابي زكرياء يحيى بن عمر ـ نفع الله به ـ بسلا غربي الجامع الاعظم منها ، ولم ار لهما ثالثا على نحوهما في ملازمة السكان وصفاتهم وشبههم بـمـن ذكـــر » .

ج ــ ثم زاحم هذه المدرسة المدينية ــ بشعبتيها ــ طريقة ابي الحسن الشـاذلي (143) المار الذكر ، وقد كان لابن عباد السالف الذكر ايضا : يد بيضاء في نشرها بالمغرب والتعريف بها ، وفي هذا يقول ابن السكاك عند حديثه عن الطريقة الشـاذلية (144) :

« وهي احمد طرق السالكين رضي الله عنهم ، لتأسيسها على اقـوى الاركان ، وتزيين سمائها بدراري الاتباع الكامل وشموس الحقيقة والعرفان، وبحق ما : اختارها لنفسه ــ نحلـة ونسبة ــ شيخنا اكمـل مشايخ زمانه بالمغرب ، ابو عبد الله محمد بـن عباد ، اختيـارا صادرا عـن استبحار في استقراء جميع طرق السلوك ، فكانت نتيجة غوصه في تلك البحار ان عـقد جملة الكمال ، فاستخرج منها هذه الطريقة وهي فريدة اللآل ، وما زال يطنب في وصفها ، ويشوق اليها ، ويتفنن في اساليبها ، ويكثر من التفاريع على اصولها ، ويدعو ارباب السلوك اليها ، على طريق من النصح والاستبصار بـديـع » .

ويعود نفس المؤلف ليؤكد هذا في موضوع آخر له (145) ، ويذكـر عن استـاذه ابن عبـاد :

« .. وجمعت من انشائه رسائل ، مدارها على الارشاد الى البراءة من الحول والقوة ، وقد احتوت على نبذ تشبه انفاس الاكابر ، وما اشبهه ــ في حسن تصرفه في الطريق الشاذلي ، وجودة تنزيله عـلى الصور الجـزئية ، وبسط التعبير ، وانهاء البيان فيه الى اقصى غاياته ، والتفنن في تقريـب ما غـمض الى الاذهان بالامثلة الوضعية ، والتراكيب المألوفة عند العامة ــ الا بالفقيه الحافظ المحصل الامام ابن رشد ، فانه قرب المذهب المالكي تقـريبا لم يسبق اليـه ، رحمة الله عليه ، وكذلك سيدنا الخطيب العارف ، قـــرب حقائق الشاذلية تقريبا لم يسبق اليه » .

وقد جاءت هذه الطريقة الشاذلـية ثالثة الطـرق الشهيـرة بالمغرب ، وحسب «انس الفقير» 146 : فقد وجد ــ ايضا في نفس الفترة ــ مدارس صوفية اخرى ، وهي ترجع الى الطوائف التالية :

د ـ **الشعيبيـون** : اصحاب ابي شعيب ايوب بن سعيد الصنهاجي ، المعروف بأبي شعيب ازمور دفينها ، والمتوفي عام 561 هـ (147) / 1165 ـ 1166 م .

هـ ـ **الصنهاجيـون** : اتباع الاشراف بني آمغار اهل رباط تيط ، ورئيس هذه الطائفة ابو عبد الله محمد آمغار دفين ازمور ، ويعرف بآمغار الكبير ، وهو ابن الشيخ ابي جعفر اسحاق بن اسماعيل (148 ، وترجع هذه الطائفة والتي قبلها الى الطريقة الجنيدية نسبة الى الامام ابي القاسم الجنيد (148 مكرر).

و ـ **الحجـاج** : وهم طائفة لا يدخل في جماعتهم الا من حج بيت الله الحـــرام .

ز ـ الغماتيـون : اصحــاب ابي زيــد عبــد الرحمن بــن عبد الكريم الهزميري ، دفين داخل باب الفتوح من فاس ، والمتوفي عام 706هـ/1306 ـ 1307 م ، وطريقته مبنية على العزلة والاعتكاف ، وقد كان لها اخوة محدثــة بطائفة ابي زكرياء الحاحي ، وسائر الطوائف ـ عدى الشاذلية ـ لهم اخوة بطائفة ابي محمد صــالح (149) .

وممن صحب شيخ هــذه الطريقة الهزميرية ابــو عبد الله محمد بــن تيجلات ، وابو العباس ابن البنا المراكشي الامام الشهير ، ومحمد بن احمد ابن شاطر الجمحي المراكشي ، وجاء في ترجمة (149 مكرر) هذا الاخير :

« صحب ابا زيد الهزميري كثيرا ، وابا عبد الله بن تيجلات ، وابـــا العباس ابن البنا ، واخوانهم من المراكشيين ومن جاورهم » .

وهكذا سنعرف من هذه الفقرة مدى انتشار هذه الطائفة الاغمــاتية . بمدينة مــراكش وناحيتها .

وظهر في هذه الفترة صوفية افراد نستعرض منهم اربعة :

1 ـ ابو العباس احمد بن المطارحي دفين سلا والمتوفى عام 726هـ/ 1325 ـ 1326 م ، قال عنه ابن القاضي (150) :

« وكان حسن الفقه ، مليح المنزع ، مسمتا وقورا ، يورد حكايات الصالحين ، مليح المجلس ، تحس الرحمة عند لقائه ، من المتعبدين الزهاد، لازم سكنى سلا آخر عمره .

وكان كثير الايثار : يحب المساكين ، ويحسن اليهم ، لم تختلف له حال ، ولا تبدلت له سيرة ، ولا اكتسب قط شيئا من عرض الدنيا ، مقتنعا باليسير ، راضيا بالدون من العيش ، مع الهمة العالية ، والنفس الابية ، ولم يزل طول عمره على هذه الحال الى ان فارق الدنيا .

وكان كثير المطالعة للكتب وخصوصا كتب التصوف والحديث ، وكان يحفظ حلية الاولياء لابي نعيم الحافظ » .

2 ـ ابو يعقوب البادسي المتوفى عام 734هـ/1333 ـ 1334 م ، ويصفه ابن خلدون (151) بكبير الاولياء بالمغرب ، وهو ينتسب الى مدرسة ابي مدين (151 مكرر) .

3 ـ محمد بن موسى الحلفاوي الاشبيلي المدجن ، نزيل فاس ، والمتوفى بها عام 758 هـ (152) / 1356 ـ 1357 م .

غلب على تصوفه الاتجاه الاجتماعي، فكان ـ الى جانب قيامه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ يسلك طريقة الايثار على المحتاجين ، وقد شرح مذهبه في السلسل العذب « حيث قدم امثلة في هذا الصدد » هكذا :

« وربما تكفلت صدقته بجميع مؤن المحتاج : من قوت ومن لباس مستوف الجزئيات في الدفعة الواحدة ، فيكفيه السؤال طويل مدة ، ليمتعه بالانتفاع بنفسه ، من توجه الى الله ، او استنهاض لتكسب .

ويصل تحنت عبادته بالطواف على الفقراء والمحتاجين في الحضرة : « فاس » ، ويتفقد بالفواكه الرطبة واليابسة ـ في اوانها ـ من تميل اليها نفسه فلا توصله المتربة اليها ، فيبتاع منها الكثير مهما اظل زمانها ، وتمكن ابانها، ويضعها في حانوته بالحلفاويين من فاس ، ويحتمل نهاية ما يقدر على رفعه

على رأسه ، فيتصد به المظان الى ان يفرغ الوعاء فيعيد امتلاءه ، فيلحق تلطفه الضعفاء بالاغنياء ، في استطعام شهوات ما انعم الله به على خلقه ، ورزقهم من طيباتها .

ويبعث العيون للبوادي فيعاني بها المرضى ، ويلين لهم خشن العيش، ويرفق بالمتخذ من الحيوان والمألوف ، واعد لذلك دارا يجمعهم فيها ويناولهم بيده » .

وتربى على يد الحلفاوي هذا بعض التلاميذ الذين وردت تراجمهم في « السلسل العذب » ، ومنهم على اللجائي ، وقد قال عنه في هذا المصدر :

« .. وسلك نوعا من طريقة » استاذه الحلفاوي « في القيام على مصالح المسلمين ، والنظر في احوال المساكين ، والوساطة في الصدقات عليهم ، والمبالات بأمرهم ، وله في حسن المحاولة في صلاح ذات البين بين الناس قدم، وفي زوال الشحناء والتباغض بينهم». وعبارة « انس الفقير » (153) في ذكر بعض اخلاق اللجائي في هذا الميدان :

« وله سعي في حوائج المسلمين ، وتفريق الصدقات على الفقراء والمساكين ، وكان يأخذ في ايصال الحقوق ، ونصر المظلوم ، ويدعى اليه الغريم كما يدعى الى الحاكم ولا يتخلف بوجه ، والعلماء ينتابونه ، وكان يجري على المحتاجين منهم بالنفقة المرتبة اليومية ، قلت لبعض الصالحين « من اين عيشك ؟ » فقال لي : « من نفقة اجراها على اللجائي ، يأتي بها في عشية كل يوم ، وكذلك كان مع غيره ، ويوفي بما يلتزم في ذلك وييسر الله له في قصده ، وما زال يعين من احتاج منهم الى التزويج » .

4 — ابو العباس احمد بن عمر بن محمد بن عاشر الاندلسي المتقدم الذكر ، نزيل سلا ودفينها ، المتوفى عام 764 هـ (154) /1363 م ، ويحتفظ كتاب السلسل العذب بشرح مذهبه الذي يقدمه في الفقرة التالية :

« وكان اعلم زمانه بالحلال والحرام ، وبه نجح — في المغرب — الفقه في هذا الباب من العلم ، وحيي رسمه ، وقد كانت اندرست اكثر طرقه ومعالمه ، وانطمست اغلب سبله ومسالكه فكان يأتي من علمه بالعجائب ،

ويظهر على مجلسه من تدقيق الانظار فيه فنون الغرائب ، ويأمر باستنساخ كتب، وقراءتها وتصحيحها ، حتى فشت في الناس ، وتعيش من نسخها جماعة ممن انضاف اليه لم يكن كسبهم الا من نسخها ونسخ امثالها من كتب العلم ، وخصوصا كتب الفقه والتصوف : مثل كتاب النصائح للمحاسبي (155) .

وكان كثير المطالعة لهذا التأليف ، حتى كان يجري منه مجرى الدم ، وعلى قراءته كان يحض من يستنصحه ... وكان – ايضا – ينظر كثيرا في رعاية المحاسبي ، وفي قوت القلوب لابي طالب المكي ، والاحياء للغزالي ، وحده ، ومعه اصحابه احيانا ، على حذر منه وتوق وشدة خوف واحتياط ، اعني في وقت قراءتها مع الاصحاب ، وخروج منه عن عهدة الالتزام » .

وهكذا يتبين ان ابن عاشر احدث – بالمغرب – مدرسة صوفية ذات طابع خاص ، وقد تخرج على يده تلاميذ صلحاء اخيار ، احتفظ « السلسل العذب » بتراجم عدد منهم .

وهؤلاء ثلاثة صوفية سايروا – قليلا – التصوف الفلسفي ، وظهر هذا – بصفة خاصة – في تهممهم بشعر ابن الفارض ومن شاكله : فقد كان يحيى ابن ابراهيم بن يحيى البرغواطي من بني الترجمان : يستظهر تائية ابن الفارض ، ويحفظ كل غريبة من غرائب الصوفية ، ويتكلم في مشكلاتهم (156)، وكتب ابن السكاك – المتقدم الذكر – شرحا على القصيدة المحمدية العرفانية للسيد علي بن وفا (157) التي مطلعها :

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ...

وهي قصيدة صغيرة تقع في 14 بيتا ، وكان محمد بن ابراهيم بن محمد الانصاري السهلي البلنسي مقيم مدينة ازمور : نظم قصيدة الهية واخرى محمدية (158) .

* * *

وهذه بعض أراء ومؤلفات اخرى تتصل بتصوف هذه الفترة : فقد ألف الفقيه الفاسي : ابو الفضل راشد بن ابي راشد الوليدي (159) « كتاب الحلال والحرام » (160) برسم بعض الشيوخ الصالحين ، وذكر فيه انه سمع من

ابي محمد عبد الله بن موسى الفشتالي (161) : ان التائب اذا اقتصرا على ما عند علماء الظاهر اولى واسلم له ، بل لا يجوز اليوم اتخاذ شيخ لسلوك طريق المتصوفة اصلا ، لانهم يخوضون في فروعها ويهملون شروط صحتها وهو باب التوبة ، اذ لا يصح بناء فرع قبل تاسيس اصله .

قال وسمعته يقول : لو وجدت تآليف القشيري لجمعتها والقيتها في البحر ، قال : وكذلك كتب الغزالي ، قال : وسمعته يقول : اني لاتمنى على الله ان أكون يوم الحشر مع ابي محمد بن ابي زيد ، لا مع الغزالي ، بل مع ابي محمد يشكر ، فذلك اكثر أمنا لي على نفسي (162) .

واحتد النقاش في هذه الفترة — في احد كتب الغزالي ، وهو « احياء علوم الدين » بالخصوص ، فقد جاء عند الونشريسي في المعيار (163) : وسئل القباب عن جماعة من الطلبة يطعنون في كتاب الشيخ الامام ابي حامد الغزالي — رضي الله عنه — المشهور بالاحياء ، ويشددون في الانكار على من أراد قراءته ، وبالغ بعضهم في ذلك الى ان قال : ليس ذلك باحياء علوم الدين ، وانما هو اماتة علوم الدين ... فاجاب : انكار المنكر لقراءة الاحياء، وقوله : انه اماتة علوم الدين لا احياؤه ، فهذا قول منكر ، وكلام مبتدع وغبي جاهل بحق الرجل وبحق كتابه ، وابو حامد امام من ايمة المسلمين . . وانما انتقد عليه بعض الفقهاء مسائل مما يتعلق بشرح عجائب القلب وما اشبه ذلك ، واجاب عنه آخرون ، ولا شك ان ترك النظر في تلك المسائل لمن لارسوخ له في العلم واجب ... » .

ومن كلام القباب (164) — ايضا — في هذا المعنى :

« وما زلت اتمنى ان لو قيض الله تعالى رجالا — لهم حظ من العلوم ، وعناية بهذا الطريق — الى تلخيص كتاب الاحياء ، فانه كتاب جمع من العلوم المحتاج اليها ما لا يوجد في غيره ، لاسيما الدواخل والشواغل المفسدة للمعاملات ، ومعرفة عيوب النفس وكيفية مداواتها ، فهو فيها غاية المطلوب...».

ومن الطريف ان يلتقي مع الامام القباب — في الدعوة الى اختصار الاحياء — الشيخان : محمد عبده وجمال الدين القاسمي ، كما نقرأ هذا في طالعة « موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين (165) ... » .

واخيرا : نذكر ابا العباس احمد بن محمد بن يوسف ابن البنا التجيبي السرقسطي نزيل فاس في هذه الفترة (166)، وقد نظم ارجوزة - في التصوف - سماها : « المباحث الاصلية ، عن جملة الطريقة الصوفية » وهو يصنفها في خمسة فصول ، ويجعل موضوع الفصل الخامس في فقراء العصر ومتشبهة الوقت ، وقد نشرت ضمن شرحها لابي العباس ابن عجيبة بمصر : « المطبعة الجمالية » عام 1331هـ/1913 م .

* * *

وكان لجماعات الصوفية مؤتمر سنوي وصفه في انس الفقير (167) ، بعدما ذكر جملة منالطوائف المغربية :

« ولقد حضرت مع جملة من هذه الطوائف مواطن عدة : منها زمان اجتماع فقراء المغرب الأقصى ، على ساحل البحر المحيط ، جوف اقليم دكالة بين بلد آسفي وبلد تيطنفطر (168) .. وكان الاجتماع في شهر ربيع الاول ، المبارك الاسعد الانور ، سنة تسع وستين وسبعمائة ، وحضر من لا يحصى عدده من الفضلاء ، ورأيت هناك من اخيارهم وعلمائهم وصلحائهم ما شردت به عيني بسبب كثرتهم .. ورأيت في ذلك المجمع العظيم والمشهد الجسيم غرائب وعجائب لا يرى مثلها ابدا ، لتغير الاحوال بعد ذلك » .

7 - جماعة السنة :

وهي - حسب المقدمة لابن خلدون (169) - جماعات ظهرت في اثناء هذه الفترة ، وانتحلت الدعوة الى اقامة السنة وتغيير المنكر ، فكان ينزع في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى هذه الدعوة ، ويعتني بذلك ويكثر تابعه ، ويلاحظ ابن خلدون : ان هؤلاء اكثر ما يعنون باصلاح السابلة ، لما ان اكثر فساد اعراب البادية كان هو النهب والبغي في طرق المسافرين ، كما يلاحظ ان الصبغة الدينية لم تستحكم في المنتحلين لهذه الدعوة ، حيث ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب ، ولهذا كان القائمون بهذه الدعوة غير متعمقين في فروع الاقتداء

والاتبــاع ، انما يهمهم الأعراض عن افساد السابلة ، ثم يقبلون على طــلب الدنيا بأقصى جهدهــم .

والغالب ان قيام هذه الجماعات استمر بعد ابن خلدون ، فقد ترجم في « الضوء اللامع » (170) ، ليعقوب بن عبد الله الخاثاني الفاسي ، فذكر عنه انــه كان من ابناء البربر ، وتعلق بالاشغال ، فلما رأى الفساد الحادث بفاس في سنة 817 هـ صار يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويكف ايدي المفسدين، فتبعه جماعة وقويت شــوكته .

وهناك من مارس هذه الخطة على وجهها الكامل ، فقد قام ابو حفص عمر الرجراجي السالف الذكر ، بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واصلاح طــرق المسلمين واماطة الاذى عنها ، وتجديد كل ما للمسلمين فيه منفعــة تدوم من بير او سقاية او غــير ذلك (171) .

وقد استعرض في « انس الفقير » (172) جزئيات اخرى من عمل ابــي حــفص الرجراجي في هذا الصدد **وقال :**

« وسعي في هذا الزمان في تغيير المنكر بنفسه ، واقام الحد على من يــرى انه لا يجسر عليه بذلك ، ويظهر في ذلك ظهورا تاما ، وييسر الله لــه في هذه المطالب ، واعانه العامة والخاصة ، بحيث لو قال : هذا اقتلوه لقتل قبل تمام الكلام ، وتفقد امر القضاة واصحاب الاحباس ، وغير على من لم يصلــح ، وصارت الخاصة والعامة تحت طاعته » . وبعد الرجراجي كــان عبد الله العبدوسي سابق الذكر اماما في نصح الامة ، امات كثيرا من البدع بالمغرب ، واقام الحدود والحــقوق (172 مكرر) .

8 ـ جماعات للدفاع عن الاندلس والمغرب :

لما ضعف ملوك بني مرين عن الجواز الى الاندلس . صار يقوم بــهذه المهمة ـ بين الآونة والاخرى ـ جماعات مغربية شعبية ، ومن ذلك اذ، فــي عــامي 786 و 787 هـ ، اجتاز للاندلس فرق من المتطوعين منهم ـ من قبيــل ابــي محمد صالح ـ 800 فارس فــي العام الاول ، ومــثل ذلك فــي الــعام التــالــــي (173) .

ثم في اواخر هذه الفترة ظهرت بعض جماعات اخرى للدفاع عن الاندلس ، والمعني بالامر هنا اسمان اثنان ، التف حول كل منهما شبه جمعية تعمل لهذه الغاية .

ا ـ ابو عثمان سعيد الرندى الاندلسي الاصل ، مستوطن فاس ، وحسب بعض الرسائل المرفوعة الى ابي الحسن علي الشريف الحسني السجلماسي ورفيقه آتي الذكر فان سعيدا الرندى كان مفوضا اليه من جهة سلطان الاندلس ورؤسائها للدعوة الى انقاذ الاندلس ، وقد كان يمارس هذه المهمة بتعاون مع علماء فاس وصلحائها وطلبتها ، وهو الذي ندب علماء فاس للكتابة الى ابي الحسن علي الشريف ورفيقه محمد بن ابراهيم العمري في صدد الحض على الجواز للاندلس ، وذلك اثناء عام 841 هـ/1438 م ، وقد انتدب للكتابة لهما من علماء فاس :

محمد بن عمر والعكرومي القرشي ـ علي بن محمد بن مرشيش ـ محمد ابن أملال ـ عبيد الله بن يحيى السراج ـ احمد بن احمد الماواسي ـ عبد الرحمن بن محمد الصغير بن الشيخ الحسن بن عبيد الله من زاوية الرقعة 174 .

ب ـ **ابو الحسن علي الشريف الحسني** السجلماسي المتوفي عام 842 هـ (175)/1438 ـ 1439 م ، وهو المخاطب مع رفيقه العمري بالرسائل المغربية والاندلسية ، وقد كانت له جولات في الدفاع عن الاندلس ، وكان يستنجد اهل المغرب للجواز اليها ، وتفد عليه الوفود من سوس وغيرها فيبعث بهم من طنجة ويعبر منها الى شبه الجزيرة الاندلسية (176) ،

وقد كان يدعى شيخ الغزاة ، وبهذا وقع تخطيطه في ديوان الاديب الاندلسي عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي الذي كان بقيد الحياة عام 836 هـ (177) / 1432ـ1433 م ، ويحتفظ هذا الديوان بقصيدتين في مخاطبته باسم ابي الحسن الشريف شيخ الغزاة ببسطة (178) .

وفي نفس الديوان وردت قصيدة في مخاطبة شيخ الغزاة ببسطة ايضا : محمد بن عثمان (179) ، واخرى في مخاطبة شيخ الغزاة بنفس المدينة : عبد

الله بن عمران (180) ، والغالب انهما ـ معا ـ مغربيان ، حيث ان وصف شيخ الغـزاة كان من اختصاص المغاربة .

وبعد هذا فان ابا الحسن الشريف كان له في داخل المغرب جـولة للدفاع عن مدينة طنجة ضد الغارات الاجنبية ، تنطق بهذا بعض ابيات مـن قصيدة اندلسية خوطب بها ابو الحسن المذكور من طرف ابي فارس بن ابي الـربيع ، وتتحدث هذه الابيات عن موقعة قام بها بطنجة مع اهل سوس ضدا على المسيحيين ، حيث انتصر في هذه المعركة التي انجلت عن قتلى واسرى لـلاعـداء .

وفي ابيات اخرى من نفس القصيدة يرد الحديث عن تلبية محمد بـن ابراهيم العمري لا ستصراخ اهل طنجة التي دافع عنها بجيش ساهم فـيه المغاربة من سائر الجهات واوقع بالكفار وقيعة خالدة (181) .

وهكذا يتبين قيام شبه جمعيات للدفاع عن الاندلس والمغرب اواخـر هذه الفتـرة .

9 ـ جـماعات متـطرفـة :

لقد سجل امامان من اعلام هذه الفترة قلة وجود مثل هذه الجماعـات بالمغرب ، والمعني بالامر هنا : ابو يعقوب المحساني (182) ، ثم ابو عبد الله محمد ابن الحاج مؤلف المدخل ، الذي يقرر في احد فصوله فضل عـلماء المغرب ثم يقول في خاتمة هذا الفصـل (183) :

« وبسبب وجودهم « العلماء » ، وتصرفهم بالسنة المطهرة على مـا تقدم ذكره ، ارتدع كثير مـن اهل البدع ، وقـل ظهورها واهـلها ، ونزلت البركات ، وجاءت الخيرات ، وبقي الناس في خفارتهم محمولين في ارغـد عـيش ، عكس ما عليه الحال اليوم في الغالب في الوقت » .

اما هذه الجماعات المتطرفة فكانت لا تعدو :

أ ـ الفاطميـة ومـن اليهـا .

كان المنتحلون لهذه النحلة بالمغرب يتفرعون الى اكثر من فرقة ، الاولى فريق المتصوفة الذين يشرح ابن خلدون في المقدمة (184) ، نزعتهم ويقول :

« واما المتصوفة الذين عاصرناهم ، فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسم الحق ، ويتحينون ظهوره لما قرب من عصرنا ، فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه ، سمعناه من جماعة اكبرهم ابو يعقوب البادسي كبير الاولياء بالمغرب كان في اول هذه المائة الثامنة » .

وبعد هذا تذكر المقدمة (185) الفرقة الثانية من اصحاب هذه النحلة وتقول :

« واما ما تدعيه العامة والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل يهديه ولا علم يفيده ، فيتحينون ذلك على غير نسبة ، وفي غير مكان ، تقليدا لما اشتهر من ظهور فاطمي ، ولا يعلمون حقيقة الامر ... وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة من ارض السوس ، يتحينون هناك لقاءه » .

وهناك فرقة ثالثة تنظر الى المسألة نظرة اخرى ، ولما تحدث ابن خلدون في « العبر » (186) عن قبيل تينملل قال :

« وقبر الامام « المهدي بن تومرت » بينهم لهذا العهد على حاله من التجلة والتعظيم وقراءة القرآن عليه احزابا بالغدو ، والعشي ، وتعاهده بالزيارة وقيام الحجاب دون الزائرين من الغرباء ، لتسهيل الاذن ، واستشعار الابهة ، وتقديم الصدقات بين يدي زيارته على الرسم المعروف في احتفال الدولة ، وهم مصممون مع كافة المصامدة ان الامر سيعود ، وان الدولة ستظهر على اهل المشرق والمغرب ، وتملأ الارض كما وعدهم المهدي ، لا يشكون في ذلك ولا يستريبون فيه » .

ب ـ العكازون :

وقد كانوا موجودين في هذه الفترة ، وجاء تفسيرهم عن ابي يعقوب المحساني بانهم يكفرون من لا يومن بالمهدي ابن تومرت (187) .

وفي آخر نوازل التعزيرات من المعيار المعرب (188) ، يوجد سـؤال يفسر نحلة هؤلاء ، وكان المخاطب به هو فقيه تازى ومفتيها محمد بن عبد المومن ، من اهل القرن الثامن للهجرة ، وجاء في هذا السؤال :

جـوابكم في قوم فارقـوا الجماعة .

ويكفـرون المسلمين .

ولا يـأكلون ذبائحـهـم .

ولا يـصلون خـلفهـم .

ويقولون من لم يومن بالمهدي بن تومرت فهو كـافر .

ويفضلونه على ابي بكر وعـمر رضي الله عنهما .

ويقولون من لم يعلم اثني عشر بابا من التوحيد فهو كـافر .

وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم .

ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي .

فهي تسع مسائل ينبني عليها مذهبهـم .

ثم جاء في اواخر جواب المستفتي في شأنهم (189) :

« وقد كان ورد فيهم ظهير من السلطان ــ رحمه الله ــ في مدة الترجالي ان يبحث عن امرهم ، فاجتمع الناس عليهم في مسجد السبتاني وبحثوا فلم يوجد عندهم شيء من العلم ، واتفق الناس حينئذ على انهم قوم جهلة ، وانهم يستتابون ، فان تابوا والا قتلوا ، وكنت انا حاضرا لذلك فتابوا وانصرفوا ، وما افلتهم من القتل حينئذ الا توبتهم على يد سيدي ابي عبد الله ابن عـطية رحمه الله تعالى ، فاذا ظهر عليهم بعد ذلك انهم لم يزالوا على بدعتهم يخاف عليهم الا تقبل لهم تـوبة ويقتلون من غير استتابة ، لانهم يصيرون حينئـذ بمنزلة الزنديق الذي لا تقبل له توبة ، لكونه يخفي حاله ، فكذلك هؤلاء » .

ومما يؤكد ان هؤلاء هم العكازون ان المجاصي لما نقل في نوازله بعض هذا الجواب عـقب عليه بقوله (190) :

« واصحاب ابن تومرت المذكورون هم المسمون بالعكازين ، حسبما نقله التتاءبي في شرحه على الرسالة عن المحساني .. » .

ج ـ السليمانيون :

وقد كانوا موجودين ـ ايضا ـ في هذه الفترة حسب ابي يعقوب المحساني الذي يفسر نحلتهم بانهم الذين يبيحون الجمع بين النساء والرجال (191) .

د ـ جماعات القوانين العرفية :

وهي القبائل التي كانت تخضع ـ في ميدان الجريمة بالخصوص ـ لقانون جنائي وضعي تتفق عليه القبيلة ، ويطلقون عليه اسم « عرف » ، وقد وردت الاشارة لوجود هذه الجماعة في هذه الفترة ، عند ابي زيد عبد الرحمن الجزولي المتوفى عام 741 هـ/1340 م ، فقد اورد في تقييده على الرسالة القيروانية قولة لعمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي ، ثم علق عليها وقال : وبقول عمر هذا ، يستدل اشياخ السوء من القبائل فيما احدثوا : ان من سل سيفه فضرب به يلزمه كذا ، ومن وضع يده عليه ولم يسله يلزمه كذا ، ومن لطم يلزمه كذا ، ومن شتم يلزمه كذا ، ويحلفون في البرانس والمناجل ، وكل ذلك بدعة اماتوا بها السنة (192) .

والغالب ان بعض هذه القبائل قد عادت لتطبيق التشريع الاسلامي في هذا الصدد . فقد نشرت مجلة « هسبريس » ج 18 سنة 1934 م ص 46 : وثيقتين ذكرت انهما اقدم ما يوجد في القانون الجنائي العرفي بالمغرب ، ويرجع تاريخهما لعام 1512 م / 917 ـ 918 هـ ، وقد ورد في مقدمتهما : انه بعد التعرف الى الضلال التي تنطوي عليه الاعراف العتيقة ، اصبح رئيس القبيلة يطبق ما ورد في القرآن الكريم ، وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم : في خصوص الجرائم ، تبعا لآية القصاص (193) .

الرباط ـ محمد المنوني

التعـاليـق

1 ـ ترجمته ومراجعها في معجم المؤلفين ج 5 ص 188 ـ 191 ج 13 ص 396.

2 ـ ط المطبعة البهية المصرية ـ ص 157 ـ 158 .

3 ـ نيل الابتهاج المطبوع بهامش الديباج ، مطبعة المعاهد بمصر عام 1351 ـ عند ترجمة ابن السكاك ، ص 284 ، مع ص 170 .

4 ـ اسمه الكامل، نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام ، عليهم افضل الصلاة وازكى السلام ، طبع اول مجموعة بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1316 هـ ، في 33 ص .

5 ـ ص 11 ـ 12 .

6 ـ ص 145 ـ 146 .

7 ـ مصورة خاصة منه عن مجموعة بمكتبة الاسكوريال باسبانيا ، وهـي تحـمل رقم 384 .

8 ـ ورقـــة 67 ـ أ .

9 ـ ص 35 ـ 36

10 ـ مخطوط تتوفر الخزانة العامة بالرباط على نسختين منه : الاولى تحمل رقم 90 ك ، والثانية تحمل رقم 952 د .

11 ـ لا تعرف له الا ترجمة وجيزة وخالية من تاريخ وفاته ، وقد وردت في جـذوة الاقتباس ص 350 ـ 351 . ونيل الابتهاج ص 349 ، وفي شرحه على القصيدة التلمسانية ـ « وسيرد في التعليق التالي » ـ ، تـوجد بعض معلومات اخرى عن حياته ، وهو منسوب الى بني سيتان ، قبيلة بربرية حوز فاس ، انظر «روض القرطاس» ط ف 1305 هـ ص 277

12 ـ اسمه ـ « منتهى الباني ومرتقى المعاني في شرح فرائض ابي اسحاق التلمساني وورد به اسم المؤلف هكذا : يعقوب بن موسى بن يعقوب ابن عبد الرحمن ، وهذا خلاف الوارد فـي المصدرين الذين تـرجماه ، يوجد من هذا الشرح ثلاث نسخ بالمكتـبة الملكية بالربـاط ارقام 1569 و 1750 و 2123 ونسخة اخرى : خ. ع. 702 ك مع نسخة خاصة ، وفي

« التراتيب الادارية ج 2 ص 307 ــ 309 نقل كلام السيتاني في هذا الصدد وذيل عليه بتعليقـات .

13 ــ ص 394 ــ 395 .

14 ــ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 273 ــ 274 ، وبالنسبة لموقفه من بنيان المدارس نسجل هنا رأيا معارضا لابن ابي حاج : محمد ابن علي الجزولي ثم الفاسي ، المتوفى عام 755 هـ ، حيث يثبت له ابن القاضي شعرا من بيتين في مدح سكنى المدارس ، حسب « جـذوة الاقتبـاس » ص 144 .

15 ــ ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 271 ــ 273 .

16 ــ « المعيار المعرب » للونشريسي ط. ف ــ ج 2 ص 374 ــ 375 ، « نيـل الابتهـاج » ص 246 .

« نفح الطيب » المطبعة الازهرية المصرية ــ ج 3 ص 143 .

17 ــ المعيار المعرب ج 2 ص 375 ــ نيل الابتهاج ص 247 ، نفح الطيب ج 3 ص 143 ــ 144 .

18 ــ ص 489 ــ 490 .

19 ــ ص 490 .

20 ــ ص 497 ــ 498 .

21 ــ المقدمة ، ص 376 ــ 377 .

22 ــ ط « مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر » بمصر ــ ج 3 ص 27 ــ 28.

23 ــ اسمه علي حسب فهرسة السراج عند ترجمة ابن عباد .

24 ــ لم اقف على ترجمته ، غير ان ابن خلدون يعقب بعد ذكر ابني الامـام ويقول : « وبقي اعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك الكرامة موثرين فيها طبقا عن طبق الى هذا العهد » ، « العبر » ج 7 ص 389 .

25 ــ وردت بعض مراجع ترجمته في سلوة الانفاس ج 1 ص 86 .

25 مكرر ــ ازهار الريـاض ج 3 ص 32 .

26 ــ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 244 ــ 245 .

27 ـ ترجمته ومراجعها في « معجم المؤلفين ج 1 118 ـ 119

28 ـ المعيار المعرب ج 11 ، ص 109 ـ 110 ، وقد اشار الشاطبي لهذا في مقدمات كتابه الموافقات « مطبعة المكتبة التجارية » بمصر ـ ج 1 ص 97 ـ 99 .

29 ـ نيل الابتهاج ص 244 عند ترجمة السطي ، واصله في « المعيار المعرب » ج 4 ص 119 .

30 ـ « انباء الغمر بأنباء العمر » مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقم 3824 ج 1 في حوادث سنة 789 هـ ، عند ترجمته ، وقريب من هذا في « الدرر الكامنة » ج 2 ص 343 ، وانظر عن ترجمته ـ ايضا ـ فهرسة السراج خ ، ونثير الجمان خ ، ونيل الابتهاج ص 168 .

31 ـ شرح خطبة المختصر الخليلي لابي الحسن الشاذلي المالكي ، وقد صدر به شرح هذا المختصر لبهرام ، حسب مخطوطة المكتبة الملكية رقم 8270، ثم نيل الابتهاج في ترجمة بهرام ص 101 .

32 ـ ترجمته في جذوة الاقتباس ص 258 ـ 259 والاستقصا ج 4 ص 88 ط دار الكتاب .

33 ـ ترجمة في جذوة الاقتباس ص 258 ـ 259 ، والاستقصا ج 4 ص 79 ـ 80

34 ـ يقصد السلطان المريني عبد العزيز الثاني آنف الذكر ، وحجابة المذكور له : فائدة جديدة استفيدت من هذا النص .

35 ـ ترجمته في جذوة الاقتباس ص 336 ـ 337 .

36 ـ ط . دار « الكتاب » الدار البيضاء ـ ج 4 ص 96 .

37 ـ ذكر في اوائل هذا المجلس الثاني وصف مدرسة سلمنكة الشهيرة .

38 ـ Valladolid ، وقد كانت هي العاصمة قبل مدريد .

39 ـ مجلة اللسان العربي ـ العدد الرابع ـ ص 116 ـ 127 .

40 ـ ترجمة في نثير الجمان ، في شعر « من نظمني واياه الزمان » لابي الوليد اسماعيل ابن الاحمر ، مصورة المكتبة التطوانية بسلا ، عن نسخة دار الكتب المصرية التي تحمل رقم 1863 ، ادب ، وفي « نيل الابتهاج »

ص 265 ــ 266 ، والدرر الكامنة ج 3 ص 330 ، وانظـر عـن مراجــع ترجمتي القباب والشاطبي التعليقين رقم 26 و 27 .

41 ــ ورد فيه جواب القباب والفشتالي ج 6 ص 271 ــ 278 .

42 ــ ص 73 .

43 ــ « المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا » ، نشر دار الكاتب المصري بـالقاهرة ــ ص 170 .

44 ــ مراجع ترجمته في مقدمة كتابه « انس الفقير وعز الحقير » تحقيق وتقديم الاستاذين : محمد الفاسي رئيس الجامعة ، وادولف فور استاذ بكلية الاداب سابقا ، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي ــ ص « ل » .

45 ــ لم يرد اسمه في لائحة مؤلفات ابن قنفد التـي ذيل بها كتابه : « شرف الطالب في اسنى المطالب » وفي « نيل الابتهاج » ص 73 : ينسب هــذا «الكتاب» لسعيـد العقبانـي نفسه ، ويسميه : لب اللـباب في مناظـرة القـبـــاب » .

46 ــ ورد هذا في تعليق بهامش مخطوطة مبتورة من صرف الهمة الى تحـقيق معنى الذمة للمسناوي ، ضمن مجموع بالخزانة العامة بالرباط ، رقم د 2981 ــ ص 261 .

47 ــ ج 5 ص 258 ــ 285 .

48 ــ عند الونشريسي في « المعيار ج 5 ص 285 ــ 290

49 ــ ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 123 ــ 124 .

50 ــ ترجمته في نفس المصدر الاخير ج 3 ص 302 ــ 303 ، وقد وردت المناظرة عند الونشريسي في المعيار ج 6 ص 142 ــ 153 .

51 ــ ترجمته في نيل الابتهاج ص 232 .

52 ــ ترجمته في نفس المصدر ص 165 ، وقـد جاءت هــذه المباحثات عنـد الونشريسي في المعيار ج 12 ص 182 ــ 200 ، ثم عقب عليها بترجمتي المتباحثين ص 200 ــ 201 .

53 ــ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 2 ص 133 ــ 143 .

54 ـ جواب ابن عباد ج 12 ص 201 ـ 211 ، وجواب القباب ج 11 ص 91 ـ 96.

55 ـ نشرت بصحيح الاستاذ المقتدر محمد بن تاويت الطنجي في مطبعة عصمان ياسين بالاستانة سنة 1958 م ..

56 ـ « نيل الابتهاج » ص 306 .

57 ـ ترجمته وبعض مراجعها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 99 ـ 101 .

58 ـ ترجمته في « بغية الوعاة » للسيوطي ، ط : مطبعة السعادة بمصر عام 1326 هـ ص 319 .

59 ـ هي الواردة في النبوغ المغربي ، الطبعة الثانية ـ ج 2 ص 56 ـ 71 ، مع اختصار وتصرف في بعض الالفاظ لمزيد الايضاح ، على حد تعبير مؤلف النبوغ .

60 ـ « نفح الطيب » ج 2 ص 416 .

61 ـ في كتابه سبك المقال لفك العقال نسخة المكتبة الملكية بالرباط، رقم 105/42 آخر ترجمة ابي محمد عبد الله المرجاني ، وقد وردت نفس فقرة سبك المقال غير معزوة في نفح الطيب ج 2 ص 416 .

61 مكرر ـ ترجمته ومراجعها ضمن مقدمة بقية السفر الرابع من كتاب الذيل والتكملة ، تحقيق وتقديم الدكتور احسان عباس .

62 ـ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 2 ص 191 ـ 192 .

63 ـ ورد نص التعقيبات في موضعين من فتح المتعال للمقري ، نسخة خاصة ـ الباب الثالث ، عند حرفي الطاء والميم ، واصل ذلك في الذيل والتكملة « مخطوط المكتبة الملكية » بالرباط ، رقم 269 ـ ج 1 ص 97 .

64 ـ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 147 ـ 149 .

65 ـ مؤلفه هو عبيد الله بن ابي القاسم بن محمد الثعالبي الفاسي المولد والدراسة ، الجزائري المنزل ، المترجم في كل من جذوة الاقتباس ص 239 ، ودرة الحجال رقم 4967 ، اما مؤلفه انوار التجلي فيوجد منه بضع نسخ : واحدة في المكتبة الملكية رقم 4394 واثنان بالخزانة العامة رقم ق 608 ورقم 1968 د ، وهذه الاخيرة لا تتوفر الا على النصف الاول ، وهناك نسخة رابعة خاصة تحتفظ بها المكتبة الاحمدية

66 ـ ورقة 123 . حسب نسخة خ . ع رقم د 1968 ،

67 ـ جذوة الاقتباس ص 239 ، وقد تصحف في نسختها المطبوعة سبعمائة بتسعمائة .

68 ـ منها نسخة تقع اول مجموع بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 1024 ، واخرى خاصة .

69 ـ نيل الابتهاج ص 328

70 ـ ترجمته وبعض مراجعها في « معجم المؤلفين » ج 11 ص 284 ، حيث وقعت اغلاط في نسبة مؤلفات الغير له .

71 ـ « القواعد » لزروق ، ط . المطبعة العلمية بمصر عام 1318 هـ ـ القاعدة رقم 59 ، ص 21

72 ـ الديباج المذهب ، الطبعة المذكورة عند التعليق رقم 3 ص 328 .

73 ـ « الدرر الكامنة » ج 4 ص 237 .

74 ـ طبقات المالكية لمؤلف مجهول الاسم ، مخطوطة خاصة ، بالمكتبة التطوانية بسلا

75 ـ مؤلفه هو محمد بن يوسف العبدري الغرناطي المتوفى عام 897 هـ ، وقد طبع سنن المهتدين بالمطبعة الحجرية الفاسية عام 1314 هـ

76 ـ انظر رسالة « الحكم بالعدل والانصاف » لابي سالم العياشي ، مخطوطة خ ع . ك 39 ـ ص 274 ـ 275 ،

77 ـ ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 159 ـ 160 .

78 ـ ج 11 ص 23 ـ 27 .

79 ـ هذا هو الذي وردت ترجمته ومراجعها في سلوة الانفاس ج 3 ص 62 ـ 65 ، وهناك معلومات اخرى عنه اواخر شرح السيتاني على التلمسانية، الوارد اسمه ونسخة في التعليق رقم 12 .

80 ـ كفاية المحتاج مخطوطة خاصة ، مع نيل الابتهاج ص 195 .

81 ـ انظر سلوة الانفاس ج 3 ص 64 مع اواخر شرح التلمسانية للسيتاني .

82 ـ انظر ص 115 من مخطوطة الخزانة العامة الاتية الذكر .

83 ـ ص 117 .

84 ـ انظر المنجور اواخر « شرح المنهج المنتخب الى قواعد المذهب » ط . ف، ج 2 ، م 27 ـ ص 4

85 ـ اسمه الكامل : السلسل العذب والمنهل الاحلى ، المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الزمان تتلى ، في سلك من تحلى سلكهم في الاربعين في الجيل : « جيل فاس ومكناسة وسلا » تأليف محمد بن ابي بكر الحضرمي ، مخطوطة خاصة

85 مكرر ـ ص 250 : تعليق

86 ـ يوجد السفر الاول منه بالخزانة العامة بالرباط رقم ك 650 ، والثاني بالمكتبة الملكية رقم 345 ، وجاء النقل المعني بالامر ج 1 ص 284 ـ 285

87 ـ نسخة المكتبة الملكية من هذا المصدر ، رقم 2250 ـ ج 1 عند ذكر مسنونات امام الصلاة

88 ـ ترجمة وبعض مراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 157 ـ 158 ، وتوجد معلومات اخرى عنه « في فهرس الفهارس » ج 1 ص 126 ، وفي « شرحه على قصيدة البردة البوصيرية » بمكتبة القرويين رقم 643

89 ـ يقع هذا المصدر المعني بالامر ضمن مجموع بالمكتبة الملكية بالرباط ، رقم 4585

90 ـ جا ت هذه الرسالة ضمن مجموعة رسائل نادرة لابن عباد في مجموع يحمل ـ بالمكتبة الملكية بالرباط ـ رقم 255 ، وهي مجموعة ثالثة بعد الرسائل الكبرى والصغرى المنشورتين .

91 ـ انظر عن تفسير الرتب : محمد المنوني « تظم الدولة المرينية » مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث ـ ص 252

92 ـ وقع بياض في الاصل لما بين القوسين .

92 مكرر ـ هكذا ورد بالاصل الكلام الواقع بين قوسين .

93 ـ وردت عند الونشريسي في المعيار ج 7 ص 208 ـ 209 ، ونقلها ـ بتصرف ـ احمد التنبكتي آخر مؤلفه : جلب النعمة ودفع النقمة لمجانبة الولاة الظلمة» «مخطوطة خاصة ، ثم نقلها علي بن عيسى العلمي في « نوازله » ، ط ف 1292 هـ ـ النصف الثاني ص 76 ـ 77 .

93 مكرر ـ « نيل الابتهاج » ـ ص 353 عند ترجمة الانفاسي

94 ـ انظر التفاصيل في « العبر » لابن خلدون ط ـ دار الكتاب اللبناني ج 5 ص 894 ـ 895 مع « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغرى بردى ط مطبعة دار الكتب المصرية ، ج 8 ، عام 1358 هـ / 1939م ـ ص 132 ـ 135 وقد ذكر المصدر الاول الوزير المعني بالامر هنا بوصف « وزير من المغرب » ، بينما ذكر في المصدر الثاني بوصف وزير ملك الغرب « بدون ميم » ولا شك انه يقصد به وزير سلطان المغرب الاقصى حيث تحلي « النجوم الزاهرة » الواحد من سلاطين بني مرين بملك الغرب ، كما هو الواقع في مواضع منها : ج 8 ص 225 ـ ج 9 ص 290 ـ ج 10 ص 251 ـ ج 10 ص 329 ، ووردت القصة ـ ايضا ـ في « الخطط المقريزية » ، «مطبعة النيل» بمصر ـ ج 4 ص 404 .

95 ـ جزائر ملديف من « سيلان » Maldives «انظر» المنجد » في الادب والعلوم ص 208 » ، مع (الموسوعة العربية الميسرة) ص 1741

96 ـ انظر تحفة النظار لابن بطوطة ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ/1958 م ـ ج 2 ص 125 ـ 126

97 ـ « الدهناء » ـ مجلة نصف شهرية تصدر بمدينة سربايا من «اندونيسيا» عددي 19 و 20 ، منتصف شتنبر 1929 ـ ربيع الاخر 1348 ، ـ ص 41 ـ 42 ، نقلا عن جريدة المقطم المصرية بعدديها الصادرين في 13 و 14 شتنبر 1929 م ، من حديث ادلى به لهذه الجريدة بمصر العالم الجليل محمد الهاشمي التونسي ، وقد اطلعت على هذا العدد من مجلة الدهناء عند الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني

98 ـ « المجلد السادس » ص 432 ـ 433 و 437 و 438

99 ـ « المنجد » في الادب والعلوم ، ص 130

100 ـ المنجور اواخر « شرح المنهج المنتخب الى قواعد المذهب » ط ف، ج 2، م 27 ـ ص 4 .

101 ـ المخطوطة السابقة الذكر عند التعليق رقم 30 ـ ج 1

102 ـ مخطوطة خاصة .

103 ـ شجرة النور الزكية ص 250 : تعليق .

104 ـ انظر عن ترجمة التقي ابن تيمية ومراجعها : « معجم المؤلفين » ج 1 ص 261 ـ 262 ، مع ج 13 ص 361 .

105 ـ مصورة الاستاذ الجليل محمد ابراهيم الكتاني عن مخطوطة الاسكوريال، لوحة 87 او 124 ب ، وانظر عن ترجمة التجيبي « الدرر الكامنة » ج 3 ص 240 ، و « فهرس الفهارس » ج 1 ص 191 ، و « نيل الابتهاج » ص 222 .

106 ـ « اورد المؤلفات الثلاثة سركيس في معجمه . عمود 55 و57 و58 .

107 ـ فهرسة الخزانة التيمورية ج 4 ص 117 ، وقد تصحف فيها السبتي بالبستي .

108 ـ ص 144 و 181 ، واسمها الكامل : « الكواكب الدرية في مناقب الامام المجتهد شيخ الاسلام ابن تيمية » تأليف الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، ط ، مطبعة كردستان العلمية بمصر عام 1329 ، ضمن مجموعة .

109 ـ المصدر الاخير ص 181 .

110 ـ انظر العبر لابن خلدون ط ، دار الكتاب اللبناني ـ ج 7 ص 471 ـ 475.

111 ـ ترجمته في جذوة الاقتباس ص 243 ـ 244 .

112 ـ مختصر الاحاطة للبقني ، مصور الخزانة العامة بالرباط رقم 1582 د ـ ج 2 لوحة 275 اواخر ترجمته .

113 ـ نيل الابتهاج ص 246 ، نفح الطيب ج 3 ص 116 ـ 117 ، وانظر عن المحصل كشف الظنون « ط وكالة المعارف باستانبول » ـ ص 1614 .

113 مكرر ـ هذا يؤخذ من « مختصر الاحاطة » المصورة الآنفة الذكر ـ ج 2 لوحة 154 ـ 155 .

114 ـ « البداية والنهاية » لابن كثير ، ط ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ج 14 ص 227 .

115 ـ نفس المصدر ، ج 14 ص 229

116 ـ « سحر الشعر » لابن الخطيب ، خ . ع د 1295 ، ورقة 67 ،

117 ـ المحاضرات والمحاورات للسيوطي ، مخطوطة المكتبة الملكية بالرباط رقـــم 3755 .

118 ـ ص 94 .

119 ـ نقله عنه في بغية الوعاة اثناء ترجمة المذكور ص 82 .

120 ـ « مركز الاحاطة » للبشتكي مصورة خاصة للبعض ، مع مختصر الاحاطة للبقني : المصورة الآنفة الذكر ، ج 2 لوحة 277 .

121 ـ ج 4 ص 112 ، وانظر « فهرس الفهارس » ج 1 ص 333 .

122 ـ ص 290

123 ـ الاول : ص 142 ، والثاني : ص 299 ، وقد ذكر في ترجمة هذا الثاني انه كان يكتب في حضرة ابي عنان وهو سهو .

124 ـ عند ترجمته رقم 860 ، وقد ترجمه ـ ايضا ـ نفس المؤلف في « جـذوة الاقتبـــاس ص 231 .

125 ـ لم اقف على ترجمته ، وانما ورد في بعض نسخ « روض القرطاس » ذكر وفاته عام 716 هـ

126 ـ الرسالة واردة عند الونشريسي في المعيار ج 4 ابتداء من ص 344 ،

127 ـ جـذوة الاقتبـاس ص 231 ،

128 ـ نقل هذا ـ عن نوازل البرزلي ـ المنجور اواخر « شرح المنهج المنتخب » الى قواعد المذهب ط. ف ، ج 2 ، م 27 ـ ص 5 .

129 ـ نقل هذا في سلوة الانفاس ج 4 ص 159 .

130 ـ جذوة الاقتبــاس ص 203 .

130 مكرر ـ فهرسة المنتوري مخطوطة المكتبة الملكية اول مجموع يحمـــل رقم 1578 ، وانظر عن ترجمة ابن عمر اللخمي : « سلوة الانفــاس » ج 2 ص 3 .

131 ـ انظر صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، مجلد 6 ص 228.

132 ـ ترجمته وبعض مراجعها في « الاعلام » للزركلي ج 3 ص 244 ، وفي التشوف « للتادلي » نشر معهد الابحاث العليا المغربية ، بتصحيح ادولف فور ـ رقم 162 .

133 ـ ترجمته وبعض مراجعها في الاعلام المذكور ج 5 ص 120 .

134 ـ التشوف للتادلي ، ص 195 مع انس الفقير لابن قنفد ـ ص 21 ، وانظر عن تعاليم ابي مدين « دائرة المعارف الاسلامية » المجلد الاول ـ ص 400 ـ 401 .

135 ـ هناك تأليف في ترجمته بعنوان : المنهج الواضح في تحقيق كرامات ابي محمد صالح من وضع حفيده احمد ابن ابراهيم بن احمد بن ابي محمد صالح ، طبع « بالمطبعة المصرية » عام 1352هـ / 1933 م .

136 ـ « انس الفقير » ـ ص 64 .

137 ـ ص 351 .

138 ـ لمعرفة بقية تعاليم هذه الطريقة يراجع « المنهج الواضح » ص 158ـ224

139 ـ « انس الفقير » ص 64 .

140 ـ ص 65 .

141 ـ الباب 19 : الفصل الثاني ، مخطوطة خ . ع ق 111 .

142 ـ الباب 42 : الفصل الرابع ، نفس النسخة ، ووردت هذه الفقرة ايضا في النخب المنشورة من المسند الصحيح الحسن في مجلة :
HESPERIS ANNEE 1925 Tome V P. 36

143 ـ انظر عن اصول الشاذلية « دائرة المعارف الاسلامية » المجلد 13 ـ ص 58 ـ 59 .

144 ـ «استنزال اللطائف الرضوانية ، بشرح القصيدة المحمدية العرفانية» وهو اسم شرح لابن السكاك المتقدم الذكر ، على قصيدة في المديح النبوي للسيد علي بن وفاء مخطوط مكتبة الاسكوريال اول مجموع يحمل رقم 384 .

145 ـ «كتاب الاساليب» مخطوط بمكتبة الاسكوريال ، « آخر المجموع الانف

الذكر ، وقد ورد نفس النص ـ مع بغض تغيير ـ في نفح الطيب » ج 3 ص 177

146 ـ ص 63 ـ 66 .

147 ـ ترجمة وبعض مراجعها في التشوف للتادلي : النشرة السالفة الذكر، رقـــم 62 .

148 ـ انظر عن نسب بني امغار : سلوة الانفاس ج 2 ص 218 ـ 219 ، وعن تيط TIT دائرة المعارف الاسلامية : المجلد 6 ص 125 ـ 126 ، وعن ترجمة مؤسس الطائـفة : « التشوف » للتـادلي : النشرة الســابقة ، رقـــم 75 .

148 مكرر ـ « الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بنـي سودة » ، لابي الربيع سليمان الحوات ، مخطوطة خاصة ـ عند الباب السادس .

149 ـ أنس الفقير ص 66 ، وانظر عـن ترجمة الهزميري مجـلة هيسبريس مجلد 22 ص 223 .

149 مكرر ـ مختصر الاحاطة : المصورة المتكررة الذكر ـ ج 2 لوحة (178) ، مع نفح الطيب ج 3 ص 131

150 ـ درة الحجال ـ رقم 19 .

151 ـ المقدمة ، ط المطبعة البهية المصرية ص 285 ، وانظر عن ترجمة ابـي يعقوب البـادسي : « المقصد الشريف في التعريف بصلحاء الريـف » مخطوطة خـاصة

151 مكرر ـ « الروضة المقصودة » المخطوطة السالفة الذكر ـ عند البـــاب الســـادس .

152 ـ ترجمته في « السلسل العذب » : خ و « جدة الاقتباس » ـ ص 192 .

153 ـ ص 77 .

154 ـ ترجمة في « نيل الابتهاج » ص ـ 70 ـ 71 ، و « اتحاف اعلام الناس » ج 1 ص 304 ـ 311 ، وفي المصدرين ، تسمية المراجع الاخرى لترجمته

155 ـ ترجم في « السلسل العذب » لابي عـبد الله محمد بن الشيخ الفقـيه

الصالح القاضي في الاحكام الشرعية بسلا احمد الزهري ، من تلاميذه الشيخ ابي العباس بن عاشر ، وقد جاء في ترجمته : وكان من اعظم شغله وكسبه انتساخ الكتب التي كان الشيخ ـ رضوان الله عليه ـ يوثر قراءتها ويأمر بنسخها وتصحيحها وضبطها ، فاستغرق فيها اكثر اوقاته ليلا ونهارا

156 ـ ورد هذا في ترجمته من الدرر الكامنة « ج ص 409 ـ 410 » ، مع : « نفح الطيب » ج 4 ص 17 ـ 19

157 ـ انظر عن ابن السكاك ومؤلفه هذا : التعليقين ، رقم 3 و 144 ، وعن ترجمة السيد علي بن وفاء ومراجعها : معجم المؤلفين ج 7 ص 231 ـ 232 .

158 ـ فهرسة السراج ، مخطوطة المكتبة التطوانية بسلا ـ اثناء ترجمة عبد المهيمن الحضرمي .

159 ـ ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 3 ص 262 ـ 263 .

160 ـ منه بعض نسخ مخطوطة ، اجودها بالمكتبة الملكية بالرباط ثانية مجموع يحمل رقم 424

161 ـ ترجمته ومراجعها في « سلوة الانفاس » ج 2 ص 45 ـ 47 .

162 ـ نلقه ملخصا ـ في « نيل الابتهاج » ص 117 وجذوة الاقتباس ص 123، ونحوه عند الونشريسي في « المعيار اثناء جواب للأبباب ج 11 ص 94 ـ 95 .

163 ـ ج 12 ص 132 .

164 ـ عند الونشريسي في « المعيار » ج 11 ص 95 .

165 ـ ط دار العصور بمصر ، الطبعة الثالثة ـ ص 4 .

166 ـ ترجمته في اوائل شرح المباحث الاصلية لزروق ، خ .

167 ـ ص 71 ـ 72 .

168 ـ هي تيط الواردة في التعليق رقم 148 .

169 ـ ص 287 .

170 ـ ج 10 ص 115 .

171 ـ شرح القصيدة التلمسانية للسيتاني ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 1750.

172 ـ ص 79 ، مع تصحيح كلمة من هذا النص عن مخطوط المكتبة الملكية رقم 2990 .

172 مكرر ـ نيل الابتهاج ص 158

173 ـ هذا وقفت عليه بخط مؤرخ اسفي محمد بن احمد العبدي الكانوني نقلا عن الفقيه الخطيب عبد الله بن يحيى ابراهيم حفيد ابي محمد صالح، في كناشة بالمكتبة الاحمدية

174 ـ انظر تفاصيل هذا في « الانوار الحسنية » في ثنايا بعض الرسائل الواردة في مخاطبة ابي الحسن الشريف ورفيقه ـ ص 41 ـ 50 نشر وزارة الانباء المغربية ، وراجع عن ترجمة العكرومي : «سلوة الانفاس» ج 2 ص 122 ـ 123 وابن مرشيش : نفس المصدر ج 3 ص 86 ، وابن املال نفس المصدر ج 3 ص 86 ـ 87 ، وفي نفس المصدر ايضا ـ ترجمة لاحمد بن محمد الماواسي ج 3 ص 245 ـ 246 بدل احمد بن احمد الماواسي الوارد في الانوار الحسنية ، وبالاسم الاول ورد عند الناصري في « الاستقصا » ط دار الكتاب بالدار البيضاء ـ ج 7 ص 8

وارجع الى ترجمة عبد الرحمان الرفعي في طبقات المالكية : المخطوطة السالفة الذكر عند التعليق رقم 74 ـ ص 448 ، اما عبيد الله بن يحيى السراج: فيمكن انه ابن الامام يحيى السراج الاكبر ، ولم اقف على ترجمته

175 ـ لفظ الفرايد من لفاظة حقق الفوائد لاحمد ابن القاضي مخطوطة خاصة.

176 ـ « انظر الدرر البهية » ج 1 ص 84 ـ 85

177 ـ من هذا الديوان نسخة فريدة في الخزانة العامة بالرباط ، ضمن مجموع يحمل رقم ق 198

178 ـ ص 207 ـ 209 و 209 ـ 210 من ترقيم المجموع الذي يشتمل على الديوان

179 ـ ص 205 ـ 207 .

180 ـ ص 242 ـ 243 .

181 ـ القصيدة الاندلسية واردة في الانوار الحسنية حيث تقع الابيات المعنية بـالامر ص 52 ـ 53 .

182 ـ نوازل محمد بن الحسن المجاصي « ط ، ف ـ ص 111 ، وقد تكـرر فيها النقل عن المحاسبي تصحيفا عن المحساني ، ليكون المعني بالامر هو ابو يعقوب المحساني ، وهذا له ترجمة في نيل الابتهاج » ص 352 وجذوة الاقتباس ص 347 ، وفي هذا المصدر الاخير تصحف الحساني بالغســانـي .

183 ـ المطبعة الوطنية بالاسكندرية عام 1293 ـ ج 1 ص 332 .

184 ـ ص 285 ، اواخر الفصل الذي ينفي فيه امر هذا الفاطمي ، وانـظر ايضا ص 139 ـ 140 .

185 ـ ص 286 من الطبعة السابقة الذكر ، مع الرجوع الى نسخة مخطوطـة مـن المقـدمة .

186 ـ ج 6 ص 562

187 ـ انظـر نوازل المجاصـي ص 91 و 95 و 111 و 125 ، مع المعيـار للونشريسي ج 2 ص 423

188 ـ ج 2 ص 352

189 ـ عند الونشريسي في المعيار ايضا ج 2 ص 358 .

190 ـ ص 95 و 111

191 ـ انظر نوازل المجاصي ، ص 91 و 112 و 125 ، والمحساني الـمذكور يضبطه ابن عبد الملك هكذا : « بميم وحاء غفل مفتوحتين ، وسين غفل مشددة ، وألف ونون وياء النسب النالي بالنون ، وبنو محسان بطـن من غمارة ، وبنو نال الاخذ من بني محسان » ، الذيل والتكملة م م ، 269 ـ ص 19 ، عند ترجمة احمد بن ابراهيم ابن الزبير الاخذ عـن المحســاني

192 ــ محمد ميارة في شرح لامية الزقاق ، ط ف ــ م 44 . ص 1 .

193 ــ « معطيات الحضارة المغربية » ج 2 ص 42

ملاحظة : الموافقات بين التاريخين ماخوذة من :

Tables de concordance des eres chrétienne, éthégirienne Troisieme édition. Editions Tniques Nord-Africaines.